مجلة إسلامية شهرية

فبراير ٢٠٢٦م

شعبان/رمضان ١٤٤٧هـ

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف العام

جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي

مساعد التحرير : أ. عثمان فاروق

المدير المسؤول : محمد حسن إلياس

"تعتمد قطاعات من الفكر الإسلامي المعاصر على خطاب أخلاقي مثالي يستند إلى القانون الدولي ومؤسسات الأمم المتحدة، بوصفها مرجعيات عدالة عالمية. غير أن التجربة العملية المتمثل حاليا في ماجرى في فنزويلا وفي اليمن ومايجري في إيران من تدخل أميركي–إسرائيلي مشين وبغيض مايجعلهما القوة الدجالية العظمى يُظهر أن النظام الدولي يعمل وفق منطق القوة والمصلحة، لا وفق مبادئ مجردة. ويكمن الخلل ليس في الاستشهاد بالقانون الدولي، بل في تقديسه، وبناء استراتيجيات سياسية عليه، دون امتلاك عناصر القوة التي تضمن احترامه."

(من الإشراقة "الدم المسلم البريء المسفوح في السودان: من المسؤول عنه؟" للدكتور محمد غطريف شهباز الندوي، صـ١٠)

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

"المورد": مؤسسة التعليم والبحث
الأهداف والمقاصد التأسيسية

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري* انطلاقًا من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبيات المذهبية وتفاقمت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه.

لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتاب للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما الحديث النبوي، فقد فصل عن أصوله في القرآن والسنة، وأفرغ من مضامينه الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسة فكرية بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيره من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحًا عميقًا وتقويمًا شاملًا. وانطلاقًا من هذا الوعي، جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستنير للدين.

لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية

---

* شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

لتحقيق المقصد:

١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.

٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.

٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.

٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها :

أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.

ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.

ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.

د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردّد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلّموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أيّامًا معدودة يتفرّغون فيها للذكر والعبادة طلبًا لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.

مجلة إسلامية شهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الثاني | العدد الأول | فبراير ٢٠٢٦م | شعبان/ رمضان ١٤٤٧هـ

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
مساعد التحرير : أ. عثمان فاروق
المدير المسؤول : محمد حسن إلياس
مساعد التدوين : شاهد رضا

هيئة التحرير
د.ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، د.محمدعامرگزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، السيد منظور الحسن، شاهد محمود

الهيئة الاستشارية الدولية
الدكتور صلاح عدس (مصر)، الدكتور محمد دياب غزاوي (مصر)، الأديب محمد الشرقاوي (مصر)، الدكتور محمد أكرم الندوي (أكسفورد، إنجلترا)
الشيخ محمد ذكوان الندوي (الهند)، الأستاذ عمر محمود ضوبع (السورية)

محتويات العدد

الشذرات

إشراقة: الدم المسلم البريء المسفوح في السودان	رئيس التحرير	٧
دور الدعوة والداعية (٤)	الشيخ وحيد الدين خان	١٣
السلطان تيبو ونظام حيدر آباد	أ. محمد حسن إلياس	١٧
موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (١٢)	أ. السيد منظور الحسن	٢٢

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :١٢٦-١٣٥ (١٣)	الأستاذ جاويد أحمد غامدي	٢٨
لمسات بيانية في سورة المائدة (١)	أ. د/ فاضل صالح السامرائي	٣١

المعارف النبوية

الأحاديث المباركة	الأستاذ جاويد أحمد غامدي	٣٤

مقامات

مقطتف من "مقامات" (١٢)	الأستاذ جاويد أحمد غامدي	٣٥

www.ghamidi.org
مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

شارع ن جوزي، المكتب رقم ٢٣٠ ٣٦٢٠
كارولتون، تكساس ٧٥٠٠٧، الولايات المتحدة الأمريكية
الهاتف: ٣٧٠-٥٠٨٣ (٩٧٢) 1+

الموقع الإلكتروني
www.ghamidi.org/ishraqus

البريد الإلكتروني
info@ghamidi.org

الدين والمعرفة

مقطتف من "ميزان" (١٢) — الأستاذ جاويد أحمد غامدي — ٣٨

قانون الشهادة (٢) — الأستاذ جاويد أحمد غامدي — ٤١

آثار الصحابة

الحوارات بين زعماء فارس والصحابة الكرام (١) — أ. د/ محمد عمار خان ناصر — ٤٥

الدراسات والتحقيقات

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (١٠) — أ. السيد منظور الحسن — ٤٩

تاريخ جمع وتدوين القرآن (دراسة نقدية) (٦) — الدكتور شهزاد سليم — ٥٣

فهم القرآن والحاجة إلى تحقيق الروايات التفسيرية (٤) — د.محمدغطريف شهبازالندوي — ٥٨

من هو الفاعل في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلّى﴾؟ — العلامة شبير أحمد أزهر/ د.محمدغطريف شهبازالندوي — ٦٢

وجهات نظر

العلم الحديث بين القوة والحكمة — د. محمد أكرم الندوي — ٦٧

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي (٨) — الدكتور محمد سعد سليم — ٧٢

المختارات

تحقيق: هل أغلظ سيدنا عمر رضي الله عنه القول للعباس العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي/ في طلب الصدقة؟ (مقتطف من شرح البخاري) (١) د.محمدغطريف شهباز الندوي — ٧٥

البحوث الفقهية

الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء نصوص الشريعة — د. محمد عامر القَزدر — ٨٢

فى باب التذكير

استقبال شهر رمضان — أ. عثمان فاروق — ١٠٠

فى السيرة

حياة أمين (١٢) — أ. نعيم أحمد بلوش — ١٠٥

المثقف العربي الكبير: جاحظ — أ. نعمان الدين الندوي — ١٠٨

فن المقامات

مقام الحُبّ — الدكتور محمد دياب غزاوي (مصر) ١١٦

الشعر والقريض

الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية — أ. عمر محمود ضوبع (سورية) ١١٩
الشكوى وجواب الشكوى (حديث الروح) (٨) — العلامة الدكتور محمد إقبال/ الشيخ صاوي علي شعلان المصري ١٢٠
صرخة قادم من الأندلس — الدكتور صلاح عدس (مصر) ١٢١
قصيدة "زائر الحُبّ" — الأديب محمد الشرقاوي (مصر) ١٢٣

الأحداث

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد" أمريكا — شاهد محمود ١٢٥

الشذرات

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة

الدم المسلم البريء المسفوح في السودان وغيرها من المسؤول عنه: مقاربة تحليلية في المسؤوليات الداخلية والخارجية

تتناول كلمة المدير هذه الأزمة السودانية خاصةً بوصفها نتاجًا لتفاعل معقّد بين الإرث الاستعماري، والتدخلات الدولية، وفشل النخب السياسية والعسكرية فيها، ولا سيما الحركات ذات المرجعية الإسلامية، في بناء دولة وطنية مستقرة وفشل الإدارات العالمية الإسلامية بمافيها رابطة العالم الإسلامي والدول الإسلامية وخاصة أعضاء منظمة التعاون الإسلامي الدولي في حل مشكلات الأمة. وتجادل بأن اختزال المأساة في "المؤامرة الخارجية" وحدها يغفل أدوارًا داخلية حاسمة أسهمت في تفكك الدولة، وإشعال الحرب الأهلية، وتحويل السودان من دولة ذات إمكانات هائلة إلى ساحة صراع مفتوح.

أولًا: السياق العام للأزمة السودانية

بينما انشغل الرأي العام الإسلامي والدولي خلال عامين ماضيين بمأساة غزة، كانت مأساة أخرى تتفاقم في صمت داخل دولة إسلامية إفريقية مركزية هي

السودان. غير أن خصوصية الحالة السودانية تكمن في أن العنف لم يكن نتيجة عدوان خارجي مباشر، بل جاء في معظمه نتيجة صراع داخلي مسلح بين قوى عسكرية سودانية، راح ضحيته شعب أعزل، ودولة تتآكل مؤسساتها.

تشير تحليلات عدد من الباحثين السودانيين، ومنهم الدكتور عبد السلام الطالب، إلى أن السودان كان منذ عقود هدفًا لمشاريع تفكيك غربية، غير أن هذه المشاريع لم تكن لتنجح لولا هشاشة البنية السياسية الداخلية، وعدم المساعدة السخية المرجوة من دول الخليج الثراء،وغياب مشروع وطني جامع قادر على إدارة التنوع وبناء مؤسسات الدولة الحديثة.

ثانيًا: السودان وحالة الثروة والموارد

تمثل السودان حالة فريدة من حيث التناقض بين الثروة الكامنة والفقر الواقعي. فالبلاد تمتلك مقومات اقتصادية نادرة، تشمل مثلاً:

أ- مساحات زراعية تُقدّر بنحو ٢٥٠ مليون فدان

ب- ثروة حيوانية تُصنَّف ضمن الأكبر عالميًا

ج- احتياطات كبيرة من الذهب والمعادن

د- موارد نفطية وغازية غير مستغلة بالكامل

ه- وفرة مائية وموقعًا جغرافيًا استراتيجيًا

وتشير التقديرات الاقتصادية إلى أن استثمار جزء محدود من هذه الموارد كفيل بتحقيق عوائد سنوية تضاهي اقتصادات نفطية كبرى كالاقتصاد السعودي. غير أن هذه الإمكانات تحولت، paradoxically، إلى عامل جذب للصراع، بدل أن تكون أساسًا للتنمية، بسبب غياب الحوكمة الرشيدة، وعدم المساعدة من دول إسلامية ثراء غنية لدولة السودان حتى تتمكن من الحصول على الموارد الاقتصادية الهائلة بوسيلة الآليات الحديثة التي تفقدها ،وانتشار الفساد، وسيطرة شبكات عسكرية واقتصادية غير رسمية على مفاصل الثروة.

ثالثًا: دارفور كنموذج للصراع على الموارد

لا يمكن فهم الأزمة السودانية دون التوقف عند إقليم دارفور،تسكنه قبائل متحاربة، الذي يشغل قرابة ثلث مساحة البلاد، ويُعد من أغناها بالموارد الطبيعية. تاريخيًا، مثّل الإقليم مركزًا اقتصاديًا وجغرافيًا مهمًا، غير أن الدولة المركزية فشلت في دمجه تنمويًا وسياسيًا.

وقد أدى هذا التهميش، مقترنًا بتنافس محلي ودولي على الموارد، إلى عسكرة الإقليم، وتحويله إلى ساحة نزاع دموي، استخدمت فيه المليشيات تارة من قبل االخرطوم وتارة من دول الخليج مثل الإمارات المتحدة العربية كأدوات صراع، وأسهم في تدويل القضية، ثم في تفكك النسيج الاجتماعي، وشرعنة التدخل الخارجي تحت عناوين إنسانية.

رابعًا: من الدولة الوطنية إلى عسكرة السياسة

منذ استقلال السودان عام ١٩٥٦، تعثرت محاولات بناء نظام ديمقراطي مستقر، إذ سرعان ما دخل الجيش إلى المجال السياسي كباكستان ومصر عبر سلسلة من الانقلابات العسكرية. وقد تكرّس هذا المسار خلال حكم جعفر نميري، ثم بلغ ذروته مع انقلاب عمر حسن البشير المدعوم من الحركة الإسلامية.

ورغم الشعارات الأيديولوجية التي رفعت، فإن التجربة كشفت عن إخفاق مزدوج:

أ- إخفاق في بناء دولة مؤسسات

ب- وإخفاق في تحقيق الاستقرار أو العدالة الاجتماعية

ج- وإخفاق كبيرللعالم الإسلامي بأجمعه وإداراته ومنظماته الدولية لاتخاذ أي خطوات ناجحة لحل الأزمات الداخلية.

كما أدى اعتماد النظام على قوات موازية للجيش، مثل "قوات الدعم السريع"، والتي بالأسف قد أسسها الرئيس السوداني السابق عمر البشير لقمع معارضيه السياسيين، إلى تفكيك احتكار الدولة للعنف، وخلق مراكز قوة مستقلة اقتصاديًا وعسكريًا، وهو ما انفجر لاحقًا في شكل حرب أهلية مفتوحة.

خامسًا: التدخلات الإقليمية والدولية

لا يمكن عزل الصراع الداخلي السوداني عن بيئته الإقليمية. فقد نظر كل من الغرب وبعض الأنظمة العربية بعين الريبة إلى أي نظام يُشتبه بقربه من الإسلام السياسي، وجرى التعامل مع السودان ضمن منطق "إدارة المخاطر" لا دعم الانتقال الديمقراطي والمساعدة الأخوية.

وفي هذا السياق، لعب الدعم المالي والعسكري حالياً لبعض القوى الإقليمية ودول الخليج لأطراف سودانية بعينها دورًا في تعميق الانقسام، وإطالة أمد الصراع، وتحويل البلاد إلى ساحة تنافس بالوكالة، خاصة في ظل ارتباط الصراع بالذهب

والموارد الاستراتيجية.

سادسًا: السودان ضمن مشروع التفكيك الإقليمي

يرى عدد من الباحثين، ومنهم ظفر الإسلام خان خبير الشؤون الفلسطينية والعربية، أن ما يحدث في السودان يندرج ضمن نمط أوسع لتفكيك الدول المركزية في العالم الإسلامي إلى كيانات أصغر، على أسس عرقية أو طائفية، بما يسهّل السيطرة عليها، ويمنع تشكّل قوى إقليمية مستقلة.

غير أن هذا الطرح، رغم وجاهته، يظل قاصرًا إذا لم يُقترن بنقد داخلي صريح لأداء النخب المحلية التي أسهمت، بوعي أو دون وعي، في تهيئة البيئة المناسبة لهذا التفكيك.

ففي عام ٢٠١١ تعرّض السودان لانقسام جديد؛ إذ فصل الجزء الجنوبي ذو الأغلبية المسيحية، بعد سنوات طويلة من الحرب الأهلية، عن الشمال ذي الأغلبية المسلمة، وأعلن قيام دولة جنوب السودان وعاصمتها جوبا، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥ مليون نسمة حيث يشكل المسيحيون الأغلبية ولذا قد سارعت الأمم المتحدة والقوى الغربية وتدخلت في القضية فوراً وتدخلها أدى إلى انقسام البلد ،وقبل هذا الانقسام كان السودان، من حيث المساحة، أكبر دولة في قارة إفريقيا.

سابعًا: إشكالية الخطاب الإسلامي المعاصر والنظام الدولي

تعتمد قطاعات من الفكر الإسلامي المعاصر على خطاب أخلاقي مثالي يستند إلى القانون الدولي ومؤسسات الأمم المتحدة، بوصفها مرجعيات عدالة عالمية. غير أن التجربة العملية المتمثل حاليا في ماجرى في فنزويلا وفي اليمن ومايجري في إيران من تدخل أميركي -إسرائيلي مشين وبغيض مايجعلهما القوة الدجالية العظمى يُظهر أن النظام الدولي يعمل وفق منطق القوة والمصلحة، لا وفق مبادئ مجردة.

ويكمن الخلل ليس في الاستشهاد بالقانون الدولي، بل في تقديسه، وبناء استراتيجيات سياسية عليه، دون امتلاك عناصر القوة التي تضمن احترامه.

خاتمة واستنتاجات

تمثل الأزمة السودانية نموذجًا مكثفًا لأزمات العالم الإسلامي المعاصر، حيث

تتقاطع:

١- تدخلات خارجية انتهازية

٢- نخب محلية فاشلة

٣- عسكرة السياسة

٤- خطاب أيديولوجي غير قادر على إدارة الدولة

٥- غياب العالم الإسلامي من مشكلات الأمة على كل الأصعدة

ولا يمكن الخروج من هذا المأزق عبر الشعارات أو الخطاب العاطفي، بل عبر:

١- مراجعة نقدية جذرية لتجارب الإسلام السياسي

٢- إعادة الاعتبار للدولة المدنية والمؤسسات

٣- تبنّي واقعية سياسية أخلاقية

٤- وبناء وعي استراتيجي يقرأ العالم كما هو، لا كما يراد له أن يكون.

٥- تفعيل دورالعالم الإسلامي ومنظماته الدولية

وإلا فإن سيناريو السودان مرشّح للتكرار، بأسماء مختلفة، في أكثر من بلد إسلامي ونراه حاليامكررامعادا - لا قدرالله - في إيران الشقيقة.

أمّا العددُ الحاضرُ من مجلّتنا "الإشراق" العربي، فهو – كالأعداد السابقة – مزدان بأبحاث قرآنية وحديثية واجتماعية حرّة، إلى جانب ما يزدان به من النثر والشعر العربيّ الجديد الرصين.

ونسأل المولى سبحانه أن يوفّقنا للسداد في القول والكتابة، راجين أن يحظى هذا العدد أيضًا بالقبول والاستحسان لدى أصحاب القلم الأفاضل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين،

أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي

(١٦ يناير ٢٠٢٦م، علي كره)

دعوة للكاتبين والباحثين للمشاركة في مجلة "الإشراق" العربي

تدعو مجلة "الإشراق" العربي الكاتبين والباحثين وأصحاب الأقلام المبدعة إلى المشاركة بأبحاثهم ومقالاتهم ودراساتهم في أعدادها القادمة، إسهاماً في إثراء الساحة الفكرية والأدبية، وخدمة للغة الضاد وثقافة الأمة الإسلامية.

تعنى المجلة بتسليط الضوء على القضايا الفكرية والدينية المعاصرة، في ضوء المنهج القرآني، ومقاصد الإسلام، والتجربة الإصلاحية المتزنة. كما تفتح صفحاتها لكل قلم ملتزم، يسعى إلى تقديم معرفة أصيلة، وتحليل عميق، بلغة عربية فصيحة وأسلوب رصين.

وتشمل محاور النشر – دون حصر – ما يلي:

١- الدراسات القرآنية والأحاديث النبوية

٢- التزكية والتربية

٣- الفكر الإسلامي المعاصر

٤- نقد التراث وتجديد الخطاب

٥- قضايا الأمة والنهضة الإسلامية

٦- الشعر والأدب

٧- ترجمات علمية هادفة من لغات أخرى إلى العربية

شروط النشر:

أ- أن تكون المادة أصيلة، غير منشورة سابقًا.

ب- الالتزام بمنهج البحث العلمي والأمانة الفكرية.

ج- سلامة اللغة والأسلوب.

د- أن ترسل بصيغة Word

ه- مع سيرة ذاتية مختصرة للكاتب.

✉ ترسل البحوث والدراسات على البريد الإلكتروني الآتي:

mohammad.ghitreef@gmail.com

usmanfarooq710@gmail.com

الشيخ وحيد الدين خان
صاغه بالعربية: د.محمد غطريف شهباز الندوي

دور الدعوة والداعية

(الحلقة الرابعة)

القرن العشرون والتحوّل السياسي

مع انهيار الإمبراطوريات الإسلامية (المغولية والعثمانية) وبروز الغرب كقوة مهيمنة، وجد المسلمون أنفسهم أمام تحدٍ سياسي. في الوقت نفسه انتشر الفكر الماركسي وتفسيره المادي للتاريخ. فتأثر بعض المفكرين المسلمين بذلك، وسعوا إلى إعادة تقديم الإسلام كأيديولوجيا سياسية.

أبرز هؤلاء:

- سيد قطب في مصر (ت ١٩٦٦م).
- أبو الأعلى المودودي في الهند (ت ١٩٧٩م).

فانتشر "التفسير السياسي للإسلام" بسرعة، ونشأت على أساسه جماعات ومؤسسات وحركات، كان هدفها الاستيلاء على السلطة لإقامة "النظام الإسلامي."

لكن رغم التضحيات، لم ينجحوا في الوصول إلى غايتهم، بل انقسم المسلمون إلى فريقين: حاكم ومستأثر بالسلطة، وآخر معارض محروم منها. ثم تطورت عقلية العداء إلى مواجهة مزدوجة: ضد الحكام وضد الغرب، ومع الوقت انبثق منها العنف والإرهاب، وصولاً إلى ظاهرة التفجيرات الانتحارية في القرن الحادي والعشرين.

الحاجة إلى مشروع جديد

هذه النتائج تثبت أن الحل لا يكمن في ردود الفعل أو في الانغماس في الصراع

السياسي، بل في إعادة بناء الفكر الإسلامي على أساس الدعوة والاجتهاد.

المطلوب اليوم:

أ- أن نعتبر الكتب القديمة ذات الطابع السياسي مجرد "تراث كلاسيكي" نرجع إليه لفهم الماضي، لا كمرجع للعمل في الحاضر.

ب- أن نؤسس لكتابات جديدة تُعيد قراءة القرآن والسنة في ضوء ظروف العصر.

ج- أن يكون الفكر الإسلامي الجديد إنسانياً (man-oriented) لا "قومياً/ طائفياً"، قائماً على "نحن ونحن" لا "نحن وهم."

الخلاصة

الإسلام دين دعوة وخير للناس، لكن التاريخ المكتوب جعل صورته صورة سياسية صِراعية. نهضة الأمة لن تتحقق إلا بانتقال الفكر الإسلامي من الذهنية السياسية إلى الذهنية الدعوية، ومن عقلية الصراع إلى عقلية النصيحة والخير للإنسانية جمعاء.

عهد الشباب

رُويت في كتب الحديث رواية جاء في مطلعها – كما عند البخاري:

"يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَثاءُ الأسنان، سُفَهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريّة، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية".

(صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٦١١)

ومعناها: في الأزمنة المتأخرة ستظهر جماعة من الناس، صغار السن، ضعيفو العقل، يتكلمون بكلام حسن، لكنهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية.

هذه الرواية تشير إلى ظاهرة خطيرة، وتعرض صورة متطرفة منها. لكن بعيداً عن خصوص الظاهرة، يمكن أن نستخلص منها قاعدة فطرية عامّة، وهي: أنّ الإنسان في عهد شبابه يكون غير ناضج من حيث العقل والتجربة، ولذلك فإنّ الآراء التي يُظهرها في مرحلة النضج بعد اكتمال تجربته أوثق وأجدر بالاعتبار.

والقرآن يؤكد هذه القاعدة. فقد أخبرنا أن موسى عليه السلام في فترة شبابه

ارتكب خطأً حين وكز قبطياً فقتله (القصص: ١٥). لكن نبوته لم تُعطَ له في تلك المرحلة، بل بعد أن بلغ سنّ الرشد والنضج، لأنه بصفته رسولاً كان عليه أن يخاطب فرعون ومن حوله بـ «قولٍ ليّن» (طه: ٤٤).

ومن هنا تساعدنا هذه الأحاديث على فهم جانب من تاريخ المسلمين؛ إذ إنّ الفكر الإسلامي في مراحله المتأخرة اتجه شيئاً فشيئاً نحو الغلوّ والتشدّد، وهو ما وصفته الأحاديث بكلمة "الغُلوّ" (ابن ماجة، رقم الحديث ٣٠٢٩). والسبب النفسي الكامن وراء ذلك أنّ كثيراً من المفكرين الذين صار لهم تأثير واسع في الأمة، كانوا قد صاغوا أفكارهم في عهد شبابهم قبل أن يبلغوا مرحلة النضج. ومثال ذلك: ابن تيمية، محمد بن عبدالوهاب النجدي، وسيد أبو الأعلى المودودي.

في عهد الشباب يغلب على الإنسان الحماس والاندفاع، فينعكس ذلك في فكره على صورة تطرف ومبالغة، فيغلب عنده خطاب التشدد لا خطاب الاعتدال. ثم مع مرور الزمن تُقدَّس تلك الأفكار وتُنشَر على أنها تمثل الحقيقة النهائية، فيتعامل الناس معها من غير مراجعة ولا نقد.

خذ مثلاً ابن تيمية: في شبابه وقعت حادثة في الشام، إذ أساء نصراني إلى النبي ﷺ، فاعتُبر الأمر قضية سبّ للنبي. عندها ألّف ابن تيمية كتابه الضخم "*الصارم المسلول على شاتم الرسول*" (البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٣٥-٣٣٦)، وقرّر فيه أنّ عقوبة من يسبّ الرسول هي القتل. ولو أنه كان حينها في مرحلة أكثر نضجاً، لربما اتخذ موقفاً آخر: يجلس مع ذلك النصراني، ويخاطبه بلطف، ويكتب كتاباً يوضح فيه أنّ هذه الإساءات غالباً وليدة سوء فهم، وأنّ المطلوب هو الدعوة بالحكمة، والعمل الدعوي السلمي لإزالة اللبس.

ومثل ذلك ما حصل مع سيد أبو الأعلى المودودي؛ فقد ألّف كتابه "*الجهاد في الإسلام*" في شبابه، فكتب بحماسة واندفاع نصاً يركّز على الجهاد بمعنى القتال. لكن لو أنه كتب في مرحلة متقدمة من العمر، لربما ألّف كتاباً بعنوان "*الدعوة إلى الله*"، يوضح فيه أهمية الدعوة السلمية، ويحث المسلمين على التخطيط لعملهم وفق هذا المنهج.

وهذا ينطبق على غيرهما من المفكرين المسلمين أيضاً. والنتيجة: أن السبيل

الأمثل لفهم الإسلام هو الرجوع المباشر إلى القرآن والسنة، لا الاكتفاء بالكتب التي ألّفها مفكرون في عهود شبابهم ثم تحولت لاحقاً إلى نصوص مقدسة في نظر الناس.

(يتبع...)

بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس
ترجمة من الأردية: أ. عثمان فاروق

السلطان تيبو ونظام حيدر آباد

(شخصيتان، موقفان، نتيجتان)

مع مطلع السيطرة البريطانية على شبه القارة الهندية، لم يجد المسلمون أنفسهم، على أرض الواقع، إلا أمام مسارين رئيسين:

مسار المواجهة والمقاومة، ومسار التريث وتقبّل المعطيات القائمة، مع التركيز على حفظ الكيان، وترسيخ البناء الداخلي، واستشراف مستقبل يعاد تشكيله وفق الإمكانات المتاحة. ولم يظل هذان المساران في إطار الطرح النظري أو الجدل الفكري المجرّد، بل تجسّدا بوضوح في نموذجين تاريخيين حاضرين بقوة في الذاكرة: أحدهما جسّده السلطان تيبو* والآخر مثّله نظام حيدر آباد**.

---

* السلطان تيبو، اسمه الكامل فتح علي تيبو (١٧٥٠م – ١٧٩٩م) الملقّب بـ "أسد ميسور"، كان أكبر أبناء السلطان حيدر علي، وأحد أبرز حكّام الهند الإصلاحيين وروّاد حركة التحرّر. وقد جسّد نموذجًا خالدًا للتعايش والانسجام بين الأديان، إلى جانب كونه مخترع الصواريخ العسكرية المعروفة بـ "الطغرق".

قاد السلطان تيبو مقاومة صلبة ضد الاستعمار البريطاني في الهند، واتخذ خطوات واعية وجادة لتحرير شعوب شبه القارة الهندية من الهيمنة الأجنبية. كما أجرى إصلاحات عسكرية عميقة الأثر، وعمل على تنشيط الصناعة والتجارة، وأعاد تنظيم الإدارة وفق أسس حديثة عززت قوة الدولة واستقرارها.

** كان نظام المُلْك في حيدر آباد، المعروفون على نطاق واسع باسم "نظام دكن"،

اختار أحدهما طريق السيف، ومضى إلى المواجهة المباشرة، فانتهى إلى الهزيمة. في حين تنبّه الآخر إلى تحوّلات الواقع، وتقبّل موازين القوة المستجدة، وشرع في ترسيخ دعائم المستقبل على مستوى البناء المؤسسي. وقد جعلت الحصيلة التاريخية لهذين المسارين هذا السؤال حاضرا على الدوام: هل تنال كرامة الأمم بالعاطفة والشعارات الحماسية؟ أم بالواقعية السياسية، وحسن التدبير، واعتماد رؤية استراتيجية بعيدة المدى؟

إن أفول الدولة المغولية وظهور فراغ في موازين القوة وضع المسلمين أمام هذين الطريقين نفسيهما، وغدت هاتان الشخصيتان بمثابة المعيار الذي كتب على أساسه تاريخ القرون اللاحقة.

كان السلطان تيبو رمزا للشجاعة، والغيرة، وسمو العزائم. ولم يلق السلاح أمام الإنجليز حتى اللحظة الأخيرة، بل لقي حتفه مقاتلا على جبهة سرنغابتم سنة ١٧٩٩م. ولا يزال القول المنسوب إليه: "إن حياة أسد ليوم واحد خير من حياة ابن آوى لمئة عام" يلهب المشاعر ويوقظ الإحساس بالعزة والكرامة. غير أن السؤال المرير الذي تفرضه الوقائع هو:

من الذي حمته تلك الشجاعة ليوم واحد؟

والجواب القاسي، الخالي من العاطفة، الذي تقدمه لنا صفحات التاريخ، هو أن استشهاد السلطان تيبوأدى إلى ترسيخ النفوذ الإنجليزي في جنوب الهند، وانقلاب ميزان القوة انقلابا تاما، وانتقال المسلمين إلى موقع أضعف مما كانوا عليه من قبل. وهكذا غدت هذه الهزيمة رمزا لعظمة فردية ورومانسية الشهادة، لكنها لم تتحول إلى مسار يضمن البقاء القومي.

حكّام دولة حيدر آباد التي قامت بين عامي ١٧٢٤م و١٩٤٨م، وينتمون إلى الأسرة الآصفية التي أسسها مير قمر الدين الصديقي بعد أن اتخذ لقب "آصف جاه" وأعلن استقلاله عن الدولة المغولية. ومنذ عام ١٧٩٨م خضعت الدولة للنفوذ البريطاني، مع احتفاظ النظام بإدارة شؤونها الداخلية. وخلال ما يقرب من قرنين من الزمان، تعاقب على حكم حيدر آباد سبعة من حكّام النظام، الذين عُرف معظمهم برعايتهم للأدب والفنون والعمارة والثقافة، فضلًا عن اهتمامهم بالحُليّ والجواهر.

لقد ظل هذا النهج المقاوم موجودًا، بأشكال مختلفة، بين المسلمين في شمال الهند أيضًا. فالرغبة في تغيير مسار القدر من خلال المواجهة المباشرة بلغت ذروتها في عام ١٨٥٧م، وقد انتهت بنتيجة هزيمة شاملة. وقد أفضت هذه الهزيمة إلى إلحاق حرمان طويل الأمد بالمسلمين على الصعد السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية على حد سواء. فشجاعة ذلك اليوم الواحد أفرزت جراحًا عميقة في جسد الأمة لم يتمكن أي جيل لاحق من معالجتها لعقود، ولم تسهم في خلق أي ثقل يذكر في مستقبل الأمة الجماعي.

في المقابل، نظر نظام حيدر آباد إلى توازن القوى بعين الواقع لا بعين العاطفة. فقد اعترف بأن الإنجليز أصبحوا القوة المهيمنة عسكريًا وسياسيًا، وأن المواجهة المباشرة قد تولد شعورًا مؤقتًا فقط، لكنها لا تحقق أي فائدة دائمة. ومن وجهة نظره، لم تعد التوّازع الأساسي للقوة يكمن في السيف، بل أصبح في المؤسسات، والمعرفة، والتنظيم العقلي، وكان هذا الوعي هو الذي مهد الطريق في دكن لبناء نهج مختلف للتطور. حافظ نظام على دولته، وثبّت النظام الداخلي، وأرسى قواعد القضاء والنظام الإداري الحديث (Bureaucracy)، وأسس مؤسسات للطب والهندسة، ودعم الصناعة، وأخيرًا، في عام ١٩١٨م، منح المعرفة أسسًا صلبة من خلال جامعة عثمانية، سواء على صعيد اللغة أو المؤسسات. جعلت جامعة عثمانية اللغة الأردية لغة التعليم العالي، وصاغت العلوم الحديثة في إطار لغتهم الأم، وأقامت بيئة معرفية أصبح فيها الطلاب المسلمون بارزين في مجالات العلوم، والقانون، والهندسة، والسياسة، والعلوم الاجتماعية. كما أسهمت جهود "دار الترجمة" في فتح آفاق جديدة للعقول، وجعلت البيئة العلمية في حيدر آباد نموذجًا يحتذى به في كامل شبه القارة الهندية. لقد منح هذا النهج الواقعي المسلمين، إلى جانب العلوم والثقافة، إمكانيات على الصعيدين السياسي والاجتماعي، حافظت من خلالها هويتهم الجماعية لقرن كامل. فبالرغم من الحرمان من السلطة، بقي المسلمون مرتبطين بخبرة إدارة نظام شبه مستقل، واكتسبوا من خلال المشاركة في النظام الإداري الحديث والمؤسسات القانونية لغة السلطة وآداب الحكم. كما أسهمت المؤسسات العلمية في تكوين قيادات أصبحت لاحقًا قادرة على الإسهام في سياسة شبه القارة وتوجيه الدولة المسلمة الجديدة. وقد منح هذا المسار المسلمين

وعيًا جوهريًا، مفاده أن الطريق الوحيد للقوة ليس السيف، بل الاعتراف بالواقع، واستثمار الإمكانيات المتاحة، وتهيئة فترات من السلام للبقاء، والبناء، ونشر المعرفة. وقد مهّد هذا الجو العلمي ورأس المال الثقافي الطريق لاحقًا لعباقرة ومفكرين تركوا بصماتهم العميقة في التاريخ الفكري لشبه القارة الهندية.

فقد انتفع من هذا المناخ الشيخ السيد سليمان الندوي، والعلامة شبلي النعماني، والأجيال المرتبطة فكريًا أو تعليميًا بحيدر آباد. وفي الأجيال اللاحقة، استفاد من هذه الموروثة العلمية أيضًا مفكرون مثل الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي والعلامة حميد الدين الفراهي، في ظل بيئة علمية جمعت بين العالم الدكني، وحركة الترجمة، ودمج القديم بالحديث، والجهود الواعية لجعل اللغة الأردية لغة علمية. وهكذا لم تبق حيدر آباد مجرد وحدة سياسية، بل تحولت إلى مختبر عملي للحوار بين الإسلام والحداثة، حيث تم تحديد مسارات جديدة للدين، والفكر، والثقافة.

وقد كانت هذه هي المنهجية الواقعية نفسها التي أدركها لاحقًا سيد أحمد خان بوضوح كامل. فلم يعتبر هزيمة عام ١٨٥٧م مجرد فشل عسكري أو سياسي، بل رأى فيها انهيارًا في البنية الذهنية، وأعلن أن بقاء الأمة لا يكمن في السيف، بل في العلم، والبناء الفكري، والتوافق الثقافي. غير أن غالبية المسلمين لم تتقبل هذه الدعوة لفترة طويلة، إذ بدا لهم الواقعية وكأنها ضعف. فقد تعلموا العيش في السلطة، لكنهم لم يعرفوا آداب العيش في الهوان والخذلان. بينما ظل سيد أحمد خان يناديهم نحو هذا الفن. فمن جهة، أغلقت المقاومة العاطفية بابًا من أبواب التاريخ بالوصول إلى عام ١٨٥٧م، ومن جهة أخرى، فتحت حكمة إدارة حيدر آباد طرقًا جديدة للإمكانات العلمية والثقافية امتدت حتى القرن العشرين. في هذين النهجين يكمن السؤال الجوهري: هل بقاء الأمة في أن تعيش يومًا واحدًا وتموت مثل الأسد، أم في أن تعيش مئة عام بالعلم والمهارة والمؤسسات؟

فالإشكالية ليست في كيف مات الأسد في يومه، بل في كيفية عيش الأمة لمئة عام بعد ذلك.

فإذا كانت شجاعة يوم واحد تؤدي إلى حرمان طويل وتأخر علمي، فإن القول

قد يلهب القلوب، لكنه لا يبني مستقبل الأمة. أما إذا كان الطريق الذي اعتبره الناس ضعفًا يضمن البقاء، ويتيح فترة من السلام، ويؤسس المؤسسات، ويخلق تقليدًا علميًا، ويثمر عن مفكرين، فحينئذ يصبح السؤال: من كان في الحقيقة الأسد؟

الحقيقة هي أن الشعارات العاطفية قد تمنح الفرد كرامة يومًا واحدًا، لكنها لا تمنح الأمة عزتها لمئة عام. بينما الواقعية، والتدبير، وبناء المؤسسات، والاجتهاد العلمي المستمر هي الثروة الحقيقية التي تمنح الأمة الكرامة والقيادة ليس لمئة عام فحسب، بل لما هو أبعد من ذلك.

فقد سعى تيبو إلى الكرامة بقوة السيف، وكانت هذه الكرامة محفوظة له في رومانسية الشهادة الفردية، لكنها لم تضف أي وزن لمستقبل الأمة الجماعي.

وخلاصة القول هي أن المسألة ليست مسألة عاطفة، بل مسألة نتائج. فيمكن إظهار الغيرة في يوم واحد، لكن التاريخ يسأل الأمم: ماذا فعلتم على مدى قرون؟

فقد حاز السلطان تيبو على الموت، بينما منح نظام الحياة. أغلق أحدهما باب المقاومة، وفتح الآخر باب العلم والبناء. والقرار اليوم نفسه: هل نختار فخر يوم واحد، أم عزّة قرن كامل؟

وحين تؤخذ الأدلة والنتائج وشواهد التاريخ بعين الاعتبار، يظهر الجواب بوضوح أمامنا.

الأستاذ السيد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(الحلقة الثانية عشرة)

يتضح من القرآن الكريم أن كل فرد على الأرض من آدم عليه السلام وذريته – أي البشرية كلها – سوف يمر بثلاث مراحل: الأولى الولادة، والثانية الموت، والثالثة البعث بعد الموت أي يوم القيامة. وقد ذكر الله تعالى استثناءً في هذه المسألة في القرآن الكريم. وهذا هو حدث إحياء يسوع المسيح للأموات. ولكن تفاصيلها لم تذكر في القرآن الكريم.و إذا صحت نسبة أحاديث نزول المسيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي المسيح عليه السلام له استثناء ملحوظ من بين البشرية جمعاء في هذا الأمر. أي أنه ليس هناك عنده ثلاث مراحل حسب القاعدة العامة، بل خمس مراحل:

١- المولد

٢- الموت والصعود إلى السماء، أي الموت ورفع جسده إلى السماء،

٣- انتهاء الموت والنزول إلى الأرض، أي انتهاء حالة الموت والنزول إلى الأرض،

٤- الموت الطبيعي

٥-البعث بعد الموت، أي الإعادة إلى الحياة يوم القيامة.

وإذا تم تفسير هذا الاستثناء الملحوظ في تاريخ البشرية من خلال أخبار من المفترض أنها مثبتة وليس أخبار مثبتة بشكل قاطع، فلن يكون من المستبعد أن يتم تجاهله.ويثارالسؤال عن حقّيته.

علاوة على ذلك، فإن هناك جانب مهم جدًا أيضًا: أنه عندما تحدث يسوع المسيح في المهد عن نفسه ووصف جميع مراحل الحياة من الولادة إلى القيامة، لماذا لم يذكر نزوله إلى العالم في ذلك الوقت؟ وكانت المناسبة وروعة الخطاب تقتضي أنه إذا كان هذا النزول واقعاً فلا بد أن يذكر بوضوح في هذه المناسبة.

سادساً: وفي الآيات ١٥٥-١٥٨ من سورة النساء (٤) وصف الله تعالى جرائم بني إسرائيل التي استحقوا بسببها لعنة الله. وأول جريمة في هذا الصدد هي أنهم نقضوا العهد الذي أخذوه مع الله. والجريمة الثانية هي أنهم رفضوا الإيمان بآيات الله. والجريمة الثالثة هي أنهم قتلوا أنبياء الله بغير حق. الجريمة الرابعة هي أنهم سلكوا طريق الكفر والعصيان. الجريمة الخامسة هي أنهم سبوا السيدة مريم. الجريمة السادسة هي أنهم زعموا كذباً أنهم قتلوا النبي عيسى عليه السلام. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الجريمة السادسة، ودحض ادعائهم بشكل صريح. وفي هذا الصدد أوضح الله تعالى أنه:

- لم يتمكن الإسرائيليون من قتل يسوع المسيح أو صلبه.
- بل في هذه المناسبة رفعه الله إليه.
- وقد شُبه لهم الأمر فقال تعالى: وَّ قَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ۚ وَ مَا قَتَلُوْهُ وَ مَا صَلَبُوْهُ وَ لٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ؕ وَ اِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ ؕ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَ مَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا. بَلْ رَّفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا. (النساء ٤: ١٥٧-١٥٨)

والغرض هنا هو دحض ادعاء اليهود بأنهم نجحوا في قتل يسوع المسيح. وإذا كان قد ذكر صعود عيسى عليه السلام في هذا الرد فإن ذكر نزوله أيضاً في غير محله. أي أنه كان موافقاً لكلمة الله أن يقال لهم أن ادعائكم بأنكم كنتم قدرتم على قتل المسيح هو ادعاء كاذب. ولم تستطيعوا قتله ولكن الله بعثه وسينزله قبل يوم القيامة فيقتلكم جميعا ويطهر الأرض من وجودكم.

المشكلة الثانية :الحوار بين الله تعالى وعيسى المسيح يوم القيامة

فتحكي الآيات ١١٦-١١٩ من سورة المائدة (٥) حوار الله تعالى مع النبي عيسى (عليه السلام) يوم القيامة. أي أنه أمر واقع في المستقبل، وقد جاء به الله تعالى سابقاً.

فقد جاء فيه:

• يسأل الله تعالى عيسى (عليه السلام) أمام قومه: أأنت أمرت قومك أن يتخذوك وأمك إلهين من دون الله؟

• فيقول عيسى عليه السلام: كيف يحل لي أن أقول للناس ما ليس لي أن أقوله؟

• وسيقول أيضًا لو قلتُ شيئًا كهذا أو كان في قلبي شيء كهذا لكنتَ عرفته بالتأكيد. فقد تحدثت معهم فقط بما أمرتَ به

• وبناء على أمرك أمرتهم أن اعبدوا الله الذي هو ربي وربكم.

ثم يقول :(أ)بقيت أراقبهم طيلة وجودي بداخلهم.

ب. ثم توفيتني ولم أعد مسؤولاً عن مراقبتهم .

ج. فكنت أنت وليهم والرقيب عليهم من بعد يوم الوفاة إلى يوم القيامة.

د. الآن القرار لك إما أن تعاقبهم على جريمتهم أو تسامحهم

• بعد هذا التوضيح لعيسى عليه السلام يقول الله تعالى:

أ. اليوم هو اليوم الذي لن تظهر فيه إلاماهو صدق وحق. اليوم ينعم الله على لأولئك الذين يقفون من أجل الحقيقة في العالم .

ب. أعظم إنجازاتهم أن الله رضي عنهم ورضوا عن الله.

وتحدثت الآيات التالية عن ذلك:

وَ اِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوْنِىْ وَ اُمِّىَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ؕ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُوْنُ لِىْٓ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِىْ بِحَقٍّ ؕ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهٗ فَقَدْ عَلِمْتَهٗ ؕ تَعْلَمُ مَا فِىْ نَفْسِىْ وَ لَاۤ اَعْلَمُ مَا فِىْ نَفْسِكَ ؕ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَاۤ اَمَرْتَنِىْ بِهٖۤ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّىْ وَ رَبَّكُمْ ۚ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ ۚ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِىْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ ؕ وَ اَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيْدٌ. اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۚ وَ اِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ. قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ ؕ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَاۤ اَبَدًا ؕ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوْا عَنْهُ ؕ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ .(المائده٥: ١١٦-١١٩)

ففي هذه الآيات من المائدة إن عبارة: 'وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِىْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ' (وتعني: وكنت عليهم حافظاً ما دمت في وسطهم ثم لما توفيتني كنت أنت حافظهم من بعد ذلك) لها أهمية كبيرة في موضوعنا. وتشير

دلالتها ومعناها إلى نفي مفهوم نزول المسيح. ومن هذا يتبين أمران:أولاً: ذكرت فيها ثلاث فترات من حياة وموت اليسوع:

أ- فترة من الولادة إلى الوفاة وتؤشر عليها ألفاظ: 'مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ'

ب- فترة من الوفاة إلى القيامة- تدل عليها ألفاظ: 'فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِىْ' ولفظ: 'ہٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ.

ج- مرحلة القيامة والحساب، تعينها ألفاظ: "هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ ؕ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا".

ومن الواضح من الآيات أن هناك ارتباطاً تاماً بين الفترات الثلاث المذكورة فيها. ويشهد ترتيب سرد النص على هذا الارتباط. وهذا يعني أن هناك ثلاث فترات فقط فيما يتعلق بحياة ووفاة عيسى (عليه السلام). ولو كان هناك فترة رابعة أيضا لكان من الممكن ذكرها هنا أو لما كان هناك أي ارتباط بين هذه الفترات الثلاث. ويمكن فهم هذه الدليل من خلال آية في القرآن الكريم نفسه. فقد جاء في سورة الكهف (١٨):

اَمْ حَسِبْتَ اَنَّ اَصْحٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيْمِ كَانُوْا مِنْ اٰيٰتِنَا عَجَبًا. اِذْ اَوَى الْفِتْيَةُ اِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوْا رَبَّنَآ اٰتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ اَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلٰٓى اٰذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِيْنَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنٰهُمْ لِنَعْلَمَ اَىُّ الْحِزْبَيْنِ اَحْصٰى لِمَا لَبِثُوْٓا اَمَدًا. (٩-١٢)

تتحدث هذه الآيات عن ثلاث فترات من حياة أصحاب الكهف. الأولى هي الفترة التي لم يلجأوا فيها إلى الكهف، والثانية هي الفترة التي لجأوا فيها إلى الكهف فنومهم الله فيه، والثالثة هي الفترة التي استيقظوا فيها من النوم وخرجوا من الكهف،فالكلام هناصريح جدًا أنه لا يمكن إدخال فترة رابعة فيها. أي لو قال أحد أنه استيقظ أصحاب الكهف من النوم مرتين لا مرة واحدة ثم خرجوا من الكهف، فهذه مخالفة للكلام وتجاوز عليه ولا معنى له.

ثانياً: يترشح من لفظ "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِىْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِم" أن سيدنا مسيح عليه السلام كان بعد وفاته (ورفعه) لم يكن يعلم بأمر أتباعه إلى يوم القيامة .أي أنه أوضح لله أنني قبل وفاته كنت ولي أمرهم، ولكن بعد وفاتي لم أعد ولي أمرهم؛ لقد أصبحت أنت الوصي عليهم .

لذا مهما كانت الانتهاكات التي ارتكبوها، أنت تعرفها، فأنا لست على علم

بها. ولم يتسق كلام المسيح هذا ولا يتزامن مع سياق مجيه ثانياً. بل كان يجب أن يقول أنه عندما أرسلتني إلى العالم ، أصبحت على دراية بكل ضلالاتهم.[1]

الإشكال الثالث

الإعلان عن عمل يسوع المسيح الكامل وعدم ذكر نزوله:

تصف الآية ٥٥ من سورة آل عمران (٣) برنامجاً عن اليسوع وأتباعه حتى يوم القيامة. وتذكرمايلي:

سيتوفاه الله تعالى

ثم سيرفعه الله إليه وهكذا يطهر اتباع اليسوع المسيح من منكريه وجاحديه.

ويغلب الله أتباعه (المسيحيين) على منكريه ومعانديه (اليهود) حتى يوم القيامة.

ثم في يوم القيامة يعود اليهود والنصارى وجميع الأمم إلى الله تعالى.

وحينئذ يقضي الله في خلافاتاهم

قال تعالى: اِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسٰٓى اِنِّيْ مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ اِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَجَاعِلُ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْكَ فَوْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ ۚ ثُمَّ اِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَاَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيْمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ. (آل عمران ٣: ٥٥)

إذا كان اليسوع (عليه السلام) عليه أن يلعب دورا في العالم مرة أخرى بعد رفعه إلى الله ، فمن المستحيل عدم ذكره في هذه اللائحة العملية. في هذه الحالة ، يمكن أن يكون تسلسل الإجراءات على النحو التالي:

سيتوفاه الله تعالى

ثم يرفعه الله إليه

ثم سينزله الله تعالى بعد مدة من السماء إلى الأرض

---

[1] وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم ألوهيته قد خلق تدريجيا في أتباع المسيح بعد فترة طويلة من وفاته. ووفقا لبحث أجراه باحثون في موسوعة بريتانيكا ، تم قبول هذا المفهوم رسميا كاعتقاد في عام ٣٢٥ م. وقبل ذلك كانوا يعتبرونه إنساناً وعبداً ورسولاً لله. وكان هذا هو الحال مع مفهوم ألوهية مريم .

ثم يقتل الدجال ويقيم دولة الإسلام الغالب على الأرض كله
ثم يتوفاه الله
ثم يعود المسيح واليهود والنصارى وسائر الأمم إلى الله تعالى،
وحينئذ يقضي الله في خلافاتاهم
(للبحث صلة ...)

القرآنيات

البيان*

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(١٣)

وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَّارْزُقْ اَهْلَهٗ مِنَ الثَّمَرٰتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ؕ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهٗ قَلِيْلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهٗۤ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ ؕ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ ﴿١٢٦﴾

وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهٖمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلُ ؕ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ؕ اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿١٢٧﴾

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَاۤ اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ۠ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۚ اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ ؕ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴿١٢٩﴾

وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهٖمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ ؕ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِي الدُّنْيَا ۚ وَاِنَّهٗ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١٣٠﴾ اِذْ قَالَ لَهٗ رَبُّهٗۤ اَسْلِمْ ۙ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٣١﴾

وَوَصّٰى بِهَاۤ اِبْرٰهٖمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ ؕ يٰبَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٣٢﴾

اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ ۙ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْۢ بَعْدِيْ ؕ قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا ۚ وَّنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ ﴿١٣٣﴾

---

* ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير "البيان" للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقلها إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي.

الإشراق مجلة إسلامية شهرية ٢٨ ——— فبراير ٢٠٢٦م

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾
وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

وتذكرون عندما دعا إبراهيم، يا ربِ، اجعل هذه المدينة مدينةَ سلام، وامنح من يؤمنون بالله واليوم الآخرمن أهله رزقا من الثمرات. (قال): والذين كفروا سأمنحهم أيضا مهلة للاستفادة من (هذه الاشياء) لبضعة أيام، وبعد ذلك سأقبض عليهم وألقيهم في عذاب النار، وذاك مكان سيء للغاية. (١٢٦)

وتذكرون عندما كان إبراهيم وإسماعيل يضعان أسسَ هذا البيت. (في ذلك الوقت كان هناك دعاء على شفاههم): يا ربَنا، اقبل هذا الدعاء منا. ليس هناك شك في أنك أنت السميع العليم. (١٢٧)

يا رب، واجعلنا كلانا مطيعين لك، واخرج من نسلنا وذريتنا أمة وشعباً مطيعاً ومسلماً لك، وأظهر لنا طُرقَ عبادتنا، وتب علينا ليس هناك شك في أنك انت الرحمن (والرحيم) لعبادك. يا رب، وابعث من بينهم رسولاً منهم، يقرأ عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وبالتالي يزكيهم ويطهرهم. ليس هناك شك في أنك انت الجبار الحكيم. (١٢٨-١٢٩)

ومن هو الذي ينحرف عن دين وملة إبراهيم؟ فقط هو الذي يلزم نفسه بالحماقة. لقد جعلناه مختصا لنا في هذا العالم، ويكون من الصالحين يوم القيامة. (إبراهيم هوالذي)عندما أمره ربه بتسليم نفسه ، قال على الفور: لقد أسلمت لرب العالمين. (١٣٠-١٣١)

وقد أوصى إبراهيم أبناءه بهذا الدين، وكذا وصى به يعقوب. (إذ قال: يا أولادي، هذا هو الدين الذي اختاره الله لكم، فعليكم أن تظلوا مسلمين إلى وقت الموت على كل حال. (١٣٢)

هل كنتم حاضرين عندما كان يعقوب يودّع هذا العالم، عندما سأل أبناءه: من تعبدون بعدي؟ فقالوا: لا نعبد إلا إلها واحدا هو إلهك، وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰـها وَّاحِدًا ونحن له مطيعون. (١٣٣)

كانت تلك جماعة ماتت وخلت، لها ماعملوا وفعلوه، ولكم ما فعلتم، ولن يتم سؤالكم عما كانوا يعملون. (١٣٤)

(هذا هو تقليد شيوخهم) وعلى عكس منه هم يصرون على أنه إذا أصبحتم يهوديين أو مسيحين فسوف تهتدون. قل لهم: بل تبنوا دين إبراهيم الذي كان حنيفا (لربه) ولم يكن من المشركين. (١٣٥)

(يتبع ...)

الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي
عرض واقتباس: إدارة التحرير

لمسات بيانية في سورة المائدة

(الحلقة الأولى)

سأل سائل عن قوله تعالى:

(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم)

لِمَ ختم الآية بقوله: {فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} وكان المناسب لقوله: {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} أن يقول: (فإنك أنت الغفور الرحيم)؟ ولِمَ لم يقل سيدنا عيسى كما قال سيدنا إبراهيم، عليهما السلام: فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (إبراهيم: ٣٦).

إن الشِقّ الأول من السؤال قديم" :قال أبو بكر بن الأنباري، وقد طعن على القرآن مَنْ قال :إن قوله: فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم لا يناسب قوله: {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ }لأن المناسب، فإنك أنت الغفور الرحيم ."وأجاب عنه.

وجاء في الإتقان: (من مشكلات الفواصل، قوله تعالى: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} فإن قوله : {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} يقتضي أن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم).

والذي نريد أن نقوله أولاً :إنه لا يَصحُّ اقتطاعُ جزء من آية أو جزء من السياق، وبناءُ الحكمِ عليه، بل الذي ينبغي هو أن يُنظرَ في السياقِ كله، ثم ينظر في ملاءمة الكلام بعضه لبعض. ولو نظر السائل أو المعترض في السياق لما أثار هذا السؤالَ أصلاً، فإنه لا يصح ختم الآية بالمغفرة والرحمة ههنا، لأن السياق لا يمكن أن يقتضيهما، ولو فعل ذلك لكان نظير ما روي من أن" :بعض الأعراب سمع قارئاً يقرأ: والسارق والسارقة إلى آخرها، وختمها بقوله : (والله غفور رحيم) فقال: ما

هذا كلام فصيح. فقيل له: ليس التلاوة كذلك، وإنما هي:{والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فقال: بَخٍ بخ عَزّ فحكمَ فقطعَ."

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، إنه ليس كل موطن تُذكر فيه المغفرةُ أو الرحمة، ينبغي أن تُختمَ الآيةُ بهما، وإنما يعود ذلك إلى الموطن والسياق.

ومن المعلوم أنه وردت في القرآن مواطن ذكرت فيها المغفرة والرحمة، ولم تختم الآيات بهما لأن الموطن لا يقتضي ذلك، بل يقتضي أمراً آخر يدل عليه السياق، وذلك نحو قوله تعالى: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلّذِينَ كَفَرُواْ واغفر لَنَا رَبّنَآ إِنّكَ أَنتَ العزيز الحكيم (الممتحنة: ٥) فإنه لم يختم بالمغفرة مع أنه ورد طلب المغفرة، ذلك لأن مَدارَ الطلب في الآية هو أنْ لا يجعلهم فتنة للذين كفروا، وهو مَحُطّ الاهتمام كما هو واضحٌ من السياق، وذلك يقتضي الختم بالعزة والحكمة، كما هو ظاهر فختم بهما.

ونعود إلى سياق الآية التي هي مثار السؤال، فنقول :إن الآية وردت في سياق التبرؤ من قولٍ قالته طائفةٌ من النصارى ونسبته إلى عيسى عليه السلام، حكاه الله تعالى بقوله} :وَإِذْ قَالَ الله ياعيسى ابن مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنّاسِ اتخذوني وَأُمّيَ إلاهين مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلاّمُ الغيوب مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعبدوا الله رَبّي وَرَبّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ على كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذّبْهُمْ فَإِنّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنّكَ أَنتَ العزيز الحكيم).

فنسب إلى عيسى أنه طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله. وأظنُّ أن هذا المقام يمنع عيسى من طلب المغفرة، أو تَرجّيها لهؤلاء الذين جعلوا الله دون منزلة عيسى وأمه.

لقد ردّ علماؤنا الأوائل على مَنْ ظن أن المناسب ختم الآية بالمغفرة والرحمة بردودٍ عدة منها:

١- أنه لو ختم الآية بالمغفرة والرحمة لضعف المعنى، لأن هذا ينفرد بالشرط الثاني، ولا يكون له تَعلُّقٌ بالشرط الأول، في حين أن ختمه بالعزة والحكمة متعلق بالشرطين، فإن تعذيبه ومغفرته مَنُوطان بعزته وحكمته "فكان العزيز

الحكيم أليق بهذا المكان، لعمومه وأنه يجمع الشرطين، ولم يصلح (الغفور الرحيم) أن يحتمله ما احتمله العزيز الحكيم."

وجاء في (روح المعاني): وادعى بعضهم أنهما متعلقان بالشرطين لا بالثاني فقط، وحينئذ وجه مناسبتهما لا سترة عليه، فإنّ مَنْ له الفعل والترك عزيز حكيم."

ومعنى ذلك، أن اختيار العزيز الحكيم متعلقٌ بالثواب والعقاب جميعاً، وليس بحال واحدة.

جاء في (الكشاف)" : وإن تغفر لهم، فإنك أنت العزيز، القوي، القادر على الثواب والعقاب، الحكيم الذي لا يُثيبُ ولا يعاقب إلا عن حكمةٍ وصواب.

فإن قلت :المغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال : وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ.

قلت: ما قال إنك تغفرُ لهم، ولكنه بنى الكلام على إنْ غفرتَ لهم فقال :إنْ عذبتهم عدلتَ، لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرتَ لهم مع كفرهم، لم تعدم في المغفرة وجه حكمة، لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في العقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن."

٢- الآية مبنية على التسليم لله سبحانه، وتفويض الأمر إليه وليس على التعريض بطلب المغفرة.

جاء في (ملاك التأويل): "أما آية المائدة فمبنية على التسليم لله سبحانه وأنه المالك للكل، يفعلُ فيهم ما شاء، فلو ورد هنا عقب آية المائدة: "وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم "لكان تعريضاً بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك في الآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى، عليه السلام، تبرّياً وتسليماً لله سبحانه، وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تَنصُّلٌ من حالهم، وتسليم لله فيهم. قال الغزنوي - رحمه الله -: لم يقل: (الغفور الرحيم) لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر العفو تعريضاً للسائل، والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيهما وكأنه قال: المغفرةُ لا تُنقِصُ من عِزّكَ، ولا تَخرجُ عن حكمتك."

(يتبع...)

المعارف النبوية

الأحاديث المباركة

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

١

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار"

(صحيفة همّام بن منبّه، رقم ٩١)

٢

روى الأحنف بن قيس قال: خرجتُ لنصرة ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيني أبو بكرة رضي الله عنه في الطريق، فقال: إلى أين تريد؟ قلت: أريد أن أنصر ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ارجع؛ فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا التقى مسلمان بسيفيهما، وكلٌّ منهما يريد قتل صاحبه، فهما على شفير جهنم. فإذا قتل أحدهما الآخر، دخل القاتل والمقتول النار جميعًا". فقلت: يا رسولَ الله، هذا القاتل فالأمر واضح، فكيف المقتول؟ قال: «لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه". (رواه البخاري، رقم ٦٥٨٣)

٣

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تُفْتَحُ أبوابُ الجنة يومَ الاثنين ويومَ الخميس، فيُغفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يُشركُ بالله شيئًا، إلا عبدًا كانت بينه وبين أخيه شحناء؛ فيُقال: أمهِلوا هذين حتى يصطلحا، أمهِلوا هذين حتى يصطلحا". (رواه مسلم، رقم ٤٦٥٨)

مقامات

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(١٢)

(نظرتنا العابدة للتمثيل)

في عيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم

هذا شهر ربيع الأول. قد ولد في هذا الشهر من قد نعته الله عزوجل بقوله رحمة للعالمين. ورأه ابن مريم مكتوبا في إحدى فخذيه وفي لباسه أنه: سيد الأسياد وملك الملوك، الذي هو سيد العالم إلى يوم القيامة، الذي طُوي له الأرض كله وأعطي جوامع الكلم وجعلت له سائر الأرض مسجدا. ورعب له الكفر وأعطي الميزان ومعه الحديد كى يتم به حجة الله على الناس وختم به النبوة وأنزل عليه القرآن وقضي فيه على الأرض أنه لا يمكن حصول الهداية الغير متبدلة لله سبحانه وتعالى الى يوم البعث والنشور إلا بكتاب جاء به.

فهذه الشخصية العملاقة قد ظهرت في مسرح العالم بهذا الشهر، ولا ريب أن هذا الشهر كله بالنسبة إليه مغبوط للدهر ونشتهي أن نمضي كل ساعاته في الاحتفالات السارة، ولكن من العجب الكبير أنه لم يحتفل بهذا الشهر الصحابة الكبار الأبرار أمثال الصديق والفاروق وعثمان وعلي وبوذر وبلال الذين أحبوه حبا ليس فوقه حب ولم يجعلوه "عيد ميلاده" اليوم الذي في صباحه الشارق خرج

من بطن آمنة كدعاء للخليل ووعد للمسيح عليهما السلام. ولما كان في الدنيا طلع عليه هذا اليوم مراراً وتكراراً وحان هذا الشهر حينا بعد حين ولكن جرى نهر حياته جرياً عاديا ولم تشهد أنظار السماء ولو للمحة أى تموج فيه فيا للعجب لماذا كان ذلك؟

نحن نحتفل بيوم "إقبال" وبيوم "جناح". فما هم هؤلاء بمقارنة هذه الشخصية العظيمة! فإذا كان جائزاً لمادحيهم أن يحتفلوا بهما بيوم ميلادهما فلماذا لا يجوز الاحتفال بشخصية تتسم بصفات عارف السبل وختم الرسل ومولى الكل؟

الذي أعطى غبار الطريق السير إلى واد السيناء.

وما زال يختلج هذا الخلجان في صدري حتى انحلت هذه العقدة بحمد الله تعالى وبرزت لي الحقيقة أن كافة أخطاء فكرية وعقيدية لنا تنشأ عن نظرياتنا كما قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

"إذا كان وجه الحقيقة مستتر عنا تمثلناه وتعبدناه وهو من مأثم نظرتنا العابدة للتمثيل"

واتضح لي أننا أكبرناه ولكن من جملة زمرة الأشخاص الذين كنا نستأنسهم وهو لم يكن شخصا من تلكم الزمرة أساسا. فنتج من ذلك أن سائر أيامنا في الأرض كانت له ولكن خصصنا يوماً لمولده. وكان قمراً نيراً في كل شهر ومع ذلك رأيناه فقط في مطلع ربيع الأول. وكان كل عام من التقويم الالهي معنوناً باسمه ولكن تقرر يوم لعيد ميلاده في تقويمنا بعد ٥٧٠ من ميلاد المسيح عليه السلام. فكان من آثام أنظارنا أننا تمثلناه وتعبدناه.

فقد أردنا أن نغلق البحر في بئر وأن ننزل الصحراء في صحن الدار ونجعل السماء رداءً ولكن الذين كانوا معه واصطحبوه من صديق وفاروق وعثمان وحيدر و بلال وبوذر أنهم رأوا البحر بحراً والصحراء صحراء والسماء سماءً فاتضح لهم أن الذى يجب أن يذكره كل قلب وأن يرفع إسمه من كل منارة المسجد إذا انفلق الصبح فيكون ذلك حط لشأنه الكريم أن يخصص له يوم ميلاد ويحتفل شهر ربيع الأول به. لأنه حبيب كل نفس وحبيب العالم كله لا يخصص لشهر ولا ليوم. إنها شخصية لكل يوم ولكل شهر ولكل عام ولذا لا يحتاج إلى "عيد ميلاد النبى" ولا احتفال ربيع الاول، ولكن يجب أن يكون هناك نداء واحد صباحاً، ظهراً

في دلوك الشمس إلى غسق الليل ويجب أن ترتج نغمة واحدة وهو نغمة أشهد أن لا اله الا الله، واشهد أن محمدا رسول الله، لأن هذه النغمة كما قال الشاعر لاتحتاج إلى موسم:

"يفصل فيه الزهرة من الخزامى، فلا اله إلا الله هو نغمة لكل موسم ربيعاً كان أو خريفاً."

(١٩٩٠م)

(للحديث صلة ...)

الدين والمعرفة

ميزان

جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(١٢)

المقدمة-٢

الدين الحق

إذا أردنا بيان حقيقة الدين في لفظة واحدة فهو عبادة الله تعالى في مصطلح القرآن فما يشاء خالق العالم أصلًا من عباده هو عبادته فقال تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ. (الذاريات: ٥٦)

وقد أبان القرآن في أكثر من مقام أن الله تعالى قد أرسل رُسله إلى الناس لإعلامهم بهذه الحقيقة فقد قال:

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيْ كُلِّ اُمَّةٍ رَّسُوْلًا اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوْتَ.

(النحل: ٣٦)

فما هو معنى العبادة هذه؟ يتضح ذلك إذا تدبر من هذه الآية نفسها من سورة النحل فإنها تأمر باجتناب الطاغوت في مقابلة عبادة الله وحده، وقد استعمل "الطاغوت" و"والشيطان" في القرآن في المعنى المترادف، فالطاغوت هو من يستكبر ويتمرد على الله سبحانه، وضد ذلك هو العبودية والذل كما هو ظاهر. فمعني

العبادة عند أئمة اللغة هو: أصل العبودية الخضوع والتذلل. وهذا الشيء إذا حصل مع الشعور الصحيح لرحمة الله وقدرته وربوبيته وحكمته اختار صورة التذلل الشديد أمام الله مع حبه الشديد وخوفه الكبير. وجاءت ألفاظ كثيرة من القرآن للتعبير عن هذا الكيفية الداخلية التي تتولد في داخل الإنسان وتحيط بوجوده كلمه من أمثال: الخشوع والخضوع والإنابة والخشية والتضرع والقنوت وغيرها. كما أن التعبيرات الذكر والشكر والتقوي والإخلاص والتوكل والتسليم والتفويض والرضا كلها مظاهر باطنية للعلاقة بين العبد ومعبوده.

ومعنى ذلك أن العبد في هذه العلاقة مع الله تعالى يطمئن قلب بذكره ويشهد في نفسه أن مشاعر الشكر والامتنان له تتصاعد كالسيل الطامي، ويخاف من سخطه ويكون له كله ويعيش توكلًا عليه، ويسلم إليه كل أموره وكل وجوده، ويرتضى بقضائه فيه. وجاء القرآن بتصوير هذه المظاهر لظهور علاقة العبد لله سبحانه بقوله:

اِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاٰيٰتِنَا الَّذِيْنَ اِذَا ذُكِّرُوْا بِهَا خَرُّوْا سُجَّدًا وَّسَبَّحُوْا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ ۩ تَتَجَافٰى جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَّطَمَعًا ۡ وَّمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ. (السجدة: ١٦)

فهذا الركوع والسجود والتسبيح والتحميد والدعاء والمناجاة والتضحية في سبيل الله رضاءً للرب تعالى هذا هو أصل العبادة. ولكن بما أن الإنسان له وجود فعلي تطبيقي أيضًا في هذا العالم وانطلاقاً منه. فإن هذه العبادة تتعلق بالوجود العملي له وهكذا تشتمل مع مظهر العبودية مظاهرَ الطاعة له. فحينئذ تتطلب من الإنسان أنه يجب أن يخضع ظاهره كما قد خضع له باطنه، ويجري ذلك على ظاهر الإنسان كما قد جرى في باطنه حتى لايستثنى منه جانب من جوانب حياة الإنسان، وفي تعبير آخر يكون العبد لله في كل معنى الكلمة كما قال تعالى:

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُوْا وَاعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ. (الحج: ٧٧)

وهذه العبادة إذا تقوم بتعيين الأساسات ما بعد الطبيعية والأخلاقية وتعيين المراسم وتقرر الحدود والقيود لإحسان العلاقة بين العبد وربه، ولتكميل مقتضيات

هذه العلاقة في الدنيا فيعبر ذلك بتعبير القرآن بالدين. وصورة هذا الدين التي قد أوضحها الله بطريق أنبيائه يسميها القرآن "الدين" ويهدي العباد أن يقيموه وأن لا يتفرقوا فيه كما جاء في سورة الشورى:[1]

شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصّٰى بِهٖ نُوْحًا وَّالَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهٖٓ اِبْرٰهِيْمَ وَمُوْسٰى وَعِيْسٰٓى اَنْ اَقِيْمُوا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ. (الشورى : ١٣)

(يتبع ...)

[1] أي قوموا عليه على كل حال. وهذا هو المفهوم الصحيح لإقامة الدين. انظر للاستزادة فيه بحثنا "الخطأ في التاويل" في كتابنا "البرهان".

الأستاذ جاويد أحمد غامدي
نقله إلى العربية: عثمان فاروق

قانون الشهادة

(الحلقة الثانية والأخيرة)

غير أن الاستدلال بهذه الآية، في نظرنا، محل نظر من وجهين اثنين:

أولًا: هذه الآية لا تتعلق أصلًا بالشهادة على الوقائع والأحداث، وإنما تتعلق بالشهادة التحفظية التوثيقية، أي الشهادة على الوثائق والمعاملات. والفرق بين هذين النوعين من الشهادة واضح تمامًا لكل عاقل. ففي الشهادة التوثيقية (كالديون والعقود)، نحن من نختار الشهود، لأننا ندون العقد بإرادتنا ونطلب ممن نثق بهم أن يشهدوا عليه. أما في الشهادة على الوقائع (كالزنا، والقتل، والسرقة، ونحوها)، فالشاهد يكون حاضرًا في موقع الحدث بمحض الصدفة وليس باختيار أحد. وبالتالي، لا يصح قياس أحد النوعين على الآخر، لأن طبيعة كل منهما مختلفة تمامًا.

ثانيًا: إن السياق والأسلوب الذي جاءت به الآية لا يدل على أنها تشريع قضائي يطلب فيه من القاضي أن يستند إلى هذا العدد من الشهود في حكمه.

فالخطاب موجه للمتعاملين بالدين والبيع الآجل، لا إلى القضاة أو إلى أجهزة القضاء. والغرض من الآية هو إرشاد الناس إلى أسلوب يجنبهم الوقوع في النزاعات والخلافات، من خلال توثيق معاملاتهم بشهادة أشخاص موثوقين، يشهد لهم بالصلاح والعدالة والكفاءة في أداء الشهادة. ولهذا نصّت الآية على أن الشهود يجب أن يكونوا "ممن ترضون من الشهداء"، أي ممن يتصفون بالأمانة والقدرة على أداء الشهادة بشكل دقيق. ولذلك جاءت التوصية بشهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، حتى إذا نسيت إحداهما أو أخطأت، أعانتها الأخرى على التذكّر. وهذا

المعنى واضح من قول الله تعالى:'أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ'.

وهذا لا يعني أبدًا، كما هو واضح، أن القضاء لا يقضي في أي دعوى إلا بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين؛ بل هي توصية اجتماعية [٣] تهدف إلى التحصين الوقائي من الخلافات والنزاعات، ولا تعد معيارًا قضائيًا ملزمًا للحكم. ولذلك، فإن جميع التعليمات التي وردت في هذا السياق وصفها القرآن بقوله:

﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة: ٢٨٢)

وقد علّق ابن القيم على هذه الآية في كتابه إعلام الموقعين بقوله:

"فهذا في التحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه، لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم، فإن هذا شيء، وذاك شيء آخر."

(إعلام الموقعين، ١/١٣٢)

في هذا العصر، حاول بعض الناس دعم موقف الفقهاء بشأن الشهادة استنادًا إلى الآيتين: الآية الرابعة من سورة النور، والآية الخامسة عشرة من سورة النساء، حيث ورد فيهما التعبير: "أربعة شهداء" و"أربعة منكم".

وقد نسجت حجّة هؤلاء على النحو التالي:

بما أن كلمة "أربعة" مؤنثة، وكان يجب وفق قواعد اللغة العربية أن يكون المعدود مذكرًا، فإن المقصود بـ"أربعة شهداء" هم أربعة رجال دون النساء. وهذه على ظاهرها تبدو حجة لغوية، لكنها في الحقيقة من أغرب ما يمكن أن يقال في ميدان العلم والاستدلال، إذ إنها بعيدة كل البعد عن قواعد اللغة العربية الصحيحة، بل تكاد تكون أجنبية عنها تمامًا. فكل من له دراية بلغة العرب يعلم أن القاعدة ليست كما صوّرها أصحاب هذا الرأي، بل إن من قواعد اللغة أيضًا: إذا كان الاسم المعدود مما يستعمل للمذكر والمؤنث معًا، فإن العدد قبله يأتي مؤنثًا أيضًا. فانظر مثلًا إلى ما ورد في سورة الأنعام:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ...﴾ (الأنعام: ١٤٣)

كلمة "أزواج" هنا، ورغم أنها مذكرة، جاء العدد قبلها مؤنثًا: "ثمانية"، وذلك لأن الكلمة تطلق على الذكر والأنثى. وكذلك جاء في سورة المجادلة:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ

ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ...﴾ (المجادلة: ٧)

العدد "ثلاثة" و"خمسة" هنا مؤنثان، رغم أن المعدود المحذوف بقرينة السياق هو "نفر"، وهي كلمة تستخدم للمذكر والمؤنث على السواء.

ومن السنة النبوية نجد أمثلة على هذا النمط من التعبير:

١- "طعام الاثنين يكفي الأربعة"[٤]

٢- "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان" [٥]

٣- "ما من مسلم يشهد له ثلاثة إلا وجبت له الجنة" [٦]

٤- "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ..." [٧]

ففي هذه الأحاديث أيضًا، استخدم العدد المؤنث رغم أن المعدود قد يكون مذكرًا أو مشتركًا. فهل يمكن لأحد أن يدّعي، وهو يفهم أساليب العربية، أن المقصود من هذه الأعداد هم الرجال فقط دون النساء؟! قطعًا لا.

أما الدليل الثاني الذي يستند إليه بعضهم، فهو ما ورد في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة [٨]، حيث ذكر أن المرأة قد تنسى أو تضطرب أثناء الشهادة، فيرون أن شهادتها تحيطها شبهة، ولذلك، وفقًا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:

"ادرؤوا الحدود بالشبهات"[٩]، لا يمكن أن تبنى على شهادتها حدود، بل تعزيرات فقط. وهذه الحجة، إذا تمعنا فيها، نجدها خالصة البطلان:

أولًا: لأن المرأة إذا اضطربت أثناء الشهادة، ووجد القاضي أن هذا الاضطراب أثّر على قوتها، فللقاضي حينها أن يرفض تلك الشهادة في القضية المعروضة. لكن كيف يستنتج من ذلك أن القانون يجب أن يقيد دائمًا وأبدًا بعدم قبول شهادة النساء؟! نعم، يوجد احتمال أن تضطرب المرأة أثناء الشهادة، وهذا لا ننكره. ولكن هل هذا الاحتمال حتمي؟ بالطبع لا. فقد تدلي المرأة بشهادتها بكل ثقة ووضوح، دون أي تردد. والقرآن حين قال ذلك، قاله على سبيل الاحتمال لا القطع، بقوله: 'أن تضل إحداهما'، ولم يقل إنها ستضل حتمًا.

فكيف يجوز إذًا تحويل احتمال ظني إلى قاعدة تشريعية قطعية تمنع بها شهادات النساء؟

ثانيًا: إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ادرؤوا الحدود بالشبهات"، لا يفهم منه أن الحد فقط هو ما يدرأ، أما التعزير فلا. بل المقصود أن العقوبة مطلقًا تدرأ

بالشبهة، أي أنه إذا وجد الشك، فالجريمة لم تثبت، وبالتالي لا توقع أي عقوبة، لا حد ولا تعزير. وهنا تظهر تناقضات القائلين:

فإن قالوا إن شهادة المرأة تثبت بها الجريمة لكن لا يوقع بها الحد، بل التعزير، فهم بذلك يقرّون بثبوت الجريمة، فينبغي وفق منطقهم إقامة الحد. وإن قالوا إن الشبهة في شهادتها باقية، أي أن الجريمة لم تثبت يقينًا، فكيف يطبق التعزير؟

وعلى أي أساس يعاقب المتهم؟ إن الجريمة لا تثبت بنسبة تسعين أو تسعة وتسعين في المئة، بل إما أن تثبت مئة في المئة، أو لا تثبت أصلًا. وليس هناك منزلة بين المنزلتين في إثبات الجرم. نعم، يمكن أن تختلف العقوبة باختلاف نوع الجريمة أو ظروف الجاني، لكن لا يصح أبدًا أن يكون مستوى ثبوت الجريمة هو معيار التفرقة بين الحد والتعزير. فالعقل السليم يرفض ذلك بشدة، والفطرة الإنسانية تأباه تمامًا.

[١٩٨٧م]

الهوامش:

٣- فانظروا، كما هو الحال مع سائر أحكام القرآن، فإن هذا التوجيه أيضًا يتوافق مع الفطرة؛ فالعالم اليوم يشهد يوميًا كتابة ملايين الوثائق، ومع ذلك نادرًا ما تختار النساء للشهادة، وربما لا يتجاوزن واحدة من كل ألف.

٤- الدارمي، رقم ٢٠٥٠ "طعام الاثنين يكفي الأربعة."

٥- مسلم، رقم ٥٦٩٤ "إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث."

٦- الترمذي، رقم ١٠٥٩ "ما من مسلم يشهد له ثلاثة إلا وجبت له الجنة."

٧- أبو داود، رقم ٤٣٩٨ "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ..."

٨- هذه الآية قد وردت سابقًا في سياق هذه الدراسة.

٩- تلخيص الحبير، ابن حجر، ٤/ ٥٦ وقد ورد هذا المعنى نفسه في الترمذي، رقم ١٤٢٤، وابن ماجه، رقم ٢٥٤٥، بلفظ: "ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم" و"ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعًا".

آثار الصحابة

تفهيم الآثار

بقلم: أ. د/ محمد عمار خان ناصر
ترجمة إلى العربية: أ. عثمان فاروق

الحوارات بين زعماء فارس والصحابة الكرام رضي الله عنهم

(نقلاً عن كتاب المؤلّف "تفهيم الآثار")

(الحلقة الأولى)

(١)

عن كرب بن أبي كرب العكلي – وكان في المقدمات أيام القادسية – قال: ... وبعث سعد عيونا إلى أهل الحيرة وإلى صلوبا ليعلموا له خبر أهل فارس، فرجعوا إليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخزاد الأرمني حربه، وأمره بالعسكرة، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم. (تاريخ الطبري ٣/٤٩٥)

الشرح اللغوي:

كلمة "فَلَجًا" تعني الغلبة والنجاح على الخصم. يطلق على الفائز في القمار "الفالِجُ" (والفالِجُ: الغالب في قماره. لسان العرب ٢/٣٤٨)

الشرح والتوضيح:

١- في السنة السابعة للهجرة، كتب النبي ﷺ رسالة إلى ملك فارس كسرى أبرويز، يدعوه إلى الإسلام، ويعلمه أنّ عليه أوزار المجوس إن أعرض. غير أنّ كسرى لمّا وقف على مضمون الرسالة ثار غضبه، فمزّقها، وأقصى رسول النبي ﷺ عبد الله بن حذافة عن بلاطه. فدعا رسول الله ﷺ على أهل فارس أن يمزّق ملكهم، ويحلّ بهم الخراب. (صحيح البخاري، رقم ٤٤٢٤) وتكرّر في كلام النبي ﷺ الإخبار بأن المسلمين سيفتحون أرض فارس، وأن كنوز كسرى ستنفق في سبيل الله. (صحيح البخاري، رقم ٣٤٠٠ - صحيح مسلم، رقم ٢٩٠٠)

وعقب رسالة النبي ﷺ كتب كسرى أبرويز إلى عامله على اليمن باذام (ويقال: باذان) أن يبعث برجال يقبضون على صاحب الكتاب ويأتون به إليه. فلما قدم رسلُ باذام على النبي ﷺ قال لهم: "ارجعوا إليّ غدًا". فلما كان من الغد أخبرهم أن الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في ليلة كذا من شهر كذا. فرجع الرسل بالخبر إلى باذام، فلما تبيّن له صدقه أسلم، وآمن بدعوة النبي ﷺ. (ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/٢٦٧-٢٦٩)

٢- وانطلاقًا من رسالة النبي ﷺ وبشاراته، شرع الصحابة رضي الله عنهم في فتح أبواب المواجهة مع الدولة الفارسية إبّان خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وتمكنت الجيوش الإسلامية، بقيادة خالد بن الوليد وعياض بن غنم رضي الله عنهما، من فتح بعض أقاليم العراق، ثم توجّه الثقل العسكري لاحقًا إلى الشام، بينما كانت فارس آنذاك تعيش اضطرابًا سياسيًا وانقسامات داخلية.

ولمّا تولّى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الخلافة سنة ١٣هـ، تتابعت إليه الأخبار بأن الفرس لا يقتصرون على إثارة الاضطرابات في مناطق العراق التي دخلها المسلمون، بل يعدّون العُدّة لحشد عسكريّ واسع يتّجهون به إلى العرب. فبعث الخليفة جيشًا إسلاميًا عظيمًا بقيادة سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، فنزل بالقادسيّة، حيث وقعت سنةَ ١٤هـأولى المواجهات الكبرى بين العرب والفرس، وهي المعركة المشهورة في كتب التاريخ بمعركة القادسيّة. وقبيل القتال، جرت مفاوضات ومحاورات بين يزدجرد ملك فارس وقائد جيوشه رستم من جانب، وبين نفرٍ من الصحابة رضي الله عنهم من جانب آخر. وتشير الرواية التي

نقلناها عن الطبري إلى الظروف والسياق الذي دار خلاله أحد هذه الحوارات.

٣- وقد كلّف عمر بن الخطاب رضي الله عنه القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يوفد إلى يزدجرد جماعةً من أهل الوجاهة والرأي والحكمة من جيش المسلمين ليعرضوا عليه دعوة الإسلام. وكان تقديم الدعوة قبل بدء القتال وبيان الخيارات المتاحة للعدو من السنن التي رسّخها النبي ﷺ، كما كان عمر رضي الله عنه يرجو أن يظهر هذا الإيضاح موقفَ المسلمين وعزمهم الصادق أمام الفرس، فيضعف بذلك روحهم القتالية ويحدّ من عزيمتهم على الحرب، وهو ما يعدّ نصراً معنويًا للمسلمين قبل أي مواجهات عسكرية.

ويذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، امتثالًا لتوجيهات عمر رضي الله عنه، شكّل وفدًا يرسل إلى يزدجرد، برئاسة النعمان بن مقرن رضي الله عنه، وضمّ في صفوفه رجالًا من ذوي الوجاهة والحكمة. وكان من بين هؤلاء: بسر بن أبي رهم، وحملة بن جوية الكناني، وحنظلة بن الربيع التميمي، وفرات بن حيّان العجلي، وعدي بن سهيل، والمغيرة بن زرارة بن النبّاش بن حبيب، وعطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معدي كرب، والمغيرة بن شعبة، والمثنّى بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين. (تاريخ الطبري، ٤٩٦/٣)

غير أن مؤرخًا آخر، هو المدائني، أورد قائمةً تختلف جزئيًا عن تلك التي نقلها الطبري، إذ ذكر بدل بعض الأسماء: طليحة بن خويلد، وزهرة بن جوية، ولبيد بن عطارد، وشرحبيل بن السمط. (الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ٤٤٥/٢)

ويبدو، في ظاهر الأمر، أن ذكر المغيرة بن شعبة والمثنّى بن حارثة في قائمة الطبري غير دقيق، إذ كان المثنّى قد توفي قبل هذه الأحداث، بينما يرد ذكر المغيرة بن شعبة في معظم الروايات ضمن من حاوروا رستم لا يزدجرد، كما سيأتي بيانه في الآثار اللاحقة.

التخريج واختلاف الطرق:

ويذكر الكلاعي أيضًا هذا الخبر عن رواية سيف بن عمر (الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ٤٤٥/٢). كما أورد النص الكامل لرسالة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنه لم يذكر المصدر الذي استند إليه في النقل. ونصّ الرسالة هو:

"وكتب إليه عمر: أتانى كتابك تذكر مكان عدوك ونزولك حيث نزلت، ومسافة ما بينك وبين ابن كسرى، وأنه من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، فأرسل إلى ابن كسرى من يدعوه إلى الإيمان أو إعطاء الجزية أو الحرب، فإن أسلم فله ما لكم وعليه ما عليكم، وإن اختار إعطاء الجزية ولم يسلم فله ما كسب وعليه ما اكتسب وقد حقن دمه وأحرز أرضه، ولا سبيل عليه إلا فى حق عليه، فإن أبى الإسلام وإعطاء الجزية فلا يعظم عندك حربه ولا يكربنك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتوك به، فاستعن بالله واستنصره وتوكل عليه ..."

(يتبع...)

بقلم: الأستاذ السيّد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]
(الحلقة العاشرة)

ويفسره الأستاذ غامدي بما يلي:

"فلم تكونوا أنتم الذين قتلتموهم في هذه المعركة، بل الله هو الذي قتلهم، وما كنتَ – أيها النبي – أنت الذي رميتَ حين رميتَ، بل الله هو الذي رمى؛ وذلك ليُظهر آياته، وليمنح المؤمنين من عنده عطاءً حسنًا. إن الله سميع عليم."

وقد وضع الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي عنوانًا لتوضيح هذا المقام هو:

"معجزات اليد الغيبية الخارجة من كمِّ النبي ﷺ"، ثم كتب تحت هذا العنوان:

"إنَّ الخطاب في قوله تعالى :﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ موجَّه إلى عموم المسلمين، وأمّا قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ فالخطاب فيه موجَّه إلى رسول الله ﷺ، ولذلك وقع الفرق بين صيغة الجمع وصيغة المفرد في الموضعين.

وكلمة *الرمي* في العربية تُستعمل للرمي بالسهام، وإلقاء الحصى والحجارة، وكذلك لنثر التراب أو الرماد.

وقد ورد في الروايات أنه لما تواجهت جيوش الكفار، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من تراب الأرض، وقال: *"شاهت الوجوه"*، ثم رماها في وجوه الكفار.

وتعبير "*شاهت الوجوه*" في العربية هي جملة لعن، كما أن نثر التراب على شخصٍ ما كان منذ أقدم العصور أسلوبًا من أساليب اللعن.

وقد ورد ذكر هذا الأسلوب في التوراة أيضًا، وتدل عليه كذلك الروايات العربية. وقد أشار المولانا الفراهي إلى شواهد ذلك في تفسير سورة الفيل.

وينبغي هنا الالتفات إلى أسلوب لغوي مهم، وهو أن نفي الفعل في بعض المواضع لا يُقصد به نفي نفس الفعل، وإنما نفي نسبة تلك النتائج العظيمة التي ظهرت من خلاله.

فكونُ جماعةٍ قليلةٍ من المسلمين العُزَّل تمكَّنت من سحق جيش قريش المدرَّع سحقًا تامًّا، أو تحوُّلُ قبضةٍ يسيرة من التراب رماها النبي ﷺ بيده المباركة إلى عاصفةٍ عمياء أوقعت الغبار في عيون جميع الكفار—

لم يكن ذلك من إنجاز سيوف المسلمين البالية، ولا من أثر رمية النبي ﷺ في حدِّ ذاتها،

بل كان كل ذلك من أعمال تلك اليد الغيبية التي كانت مستترة في أغماد المسلمين، ومخفية في أكمام نبي العالم ﷺ." (تدبر القرآن، ج ٣، ص ٤٥١)

وعَدّ معجزاتُ الرسالة المحمديّة ﷺ مثالًا بارزةً على ذلك، ومن أبرزها الإخبارات الغيبية التي أنزلها الله تعالى، وجرت على لسان النبي ﷺ إعلانًا وتبشيرًا. وقد ورد ذكرُ بعضِ هذه الإخبارات في القرآن الكريم، ونُقلت بعضُها الآخر في الروايات.

فقد أخبر النبي ﷺ—قبل وقوعها بزمنٍ طويل—عن أحداثٍ عظيمةٍ لم تكن متوقَّعة بحسب الموازين الظاهرة، مثل غلبته ﷺ في أرض العرب، وفتح أمِّ القرى مكة، ودخولِ الناس في دين الله أفواجًا.

ومن هذا القبيل أيضًا النبوءة بعودة انتصار الروم بعد هزيمتهم على يد الفرس، وهي نبوءةٌ كانت—حين أُعلنت—بعيدةً عن الوهم والاحتمال، وخارجةً عن دائرة الأمل الإنساني المعتاد.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بقوله تعالى:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۙ.

وَعْدَ اللهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ. (الروم ٣٠: ٢ -٦)

وقد عرض أستاذنا الفاضل تفاصيل هذا الحدث بهذه العبارات: إحالةً إلى المؤرخ الروماني الكبيرايدورد غبن صاحب كتاب انحطاط روما)

في الحقيقة وردت في القرآن عبارة ﴿أَدْنَى الْأَرْضِ﴾، والمقصود بها هنا أرض الشام وفلسطين، وهي المنطقة الأقرب جغرافيًا إلى جزيرة العرب. وعندما وُلد النبي ﷺ، كان العالم تحكمه قوتان عظميان: الإمبراطورية الرومانية المسيحية، والإمبراطورية الفارسية المجوسية، وكانت المنافسة والصراع بينهما في حالة دائمة.

وفي سنة ٦٠٣م، اتخذت فارس من قمع تمردٍ ذريعةً فشنّت هجومًا على الدولة الرومانية، ثم توالت الهزائم على الروم، حتى إنه بحلول سنة ٦١٦ م سقطت القدس، ومعها جزء كبير من القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، في قبضة الفرس. وكان ذلك في السنة السادسة أو السابعة من بعثة رسول الله ﷺ.

وقد ورد هذا الإخبار القرآني ما بين سنتي ٦١٧ م و٦٢٠ م. ويذكر إدوارد جيبون، مؤلف كتاب *انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية*، أن هذه النبوءة، في الزمن الذي أُعلنت فيه، كانت من أبعد الأخبار احتمالًا للتحقق؛ إذ إن السنوات الاثنتي عشرة الأولى من حكم الإمبراطور هرقل كانت توحي بانهيار الدولة الرومانية بالكامل.

ومع ذلك، صرّح القرآن بوضوح أن هذا التحول سيقع خلال مدة قصيرة، لا تتجاوز عقدًا واحدًا (بِضْعِ سِنِينَ) .وفعلاً، تحققت هذه النبوءة كما أُعلن عنها تمامًا، ففي مارس سنة ٦٢٨م عاد الإمبراطور الروماني إلى القسطنطينية في مشهد مهيب، تجر عربته أربعة أفيال، وكان الناس بأعداد هائلة ينتظرون خارج عاصمة الإمبراطورية، يحملون المصابيح وأغصان الزيتون، لاستقبال بطلهم المنتصر.

بهذا التحديد الصريح، وبهذا الأسلوب القاطع، قُدِّمت هذه النبوءة دليلاً على صدق رسالة النبي ﷺ. وتُبيِّن الروايات أن المسلمين، بسبب القرب الديني من المسيحيين، وبسبب دعوة القرآن، وبسبب تعامل المسيحيين مع المسلمين—ولا سيما في الحبشة—كانوا يميلون إليهم بطبيعتهم ويتعاطفون معهم. فطمأنهم

القرآن بألا يحزنوا، مؤكِّداً أن إخوانهم من أهل الكتاب سيحرزون الغَلَبة قريباً، وأن هذه النبوءة ستغدو برهاناً عظيماً على النبوة التي آمنوا بها؛ إذ لا يستطيع أحد، سوى الله، أن يُخبر عن المستقبل بمثل هذه الصراحة والحتمية. (البيان ٤/ ٤٣-٤٤)

(للحديث صلة ...)

إعداد: الدكتور شهزاد سليم
ترجمة من الإنجليزية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تاريخ جمع وتدوين القرآن الكريم: دراسة نقدية

(الحلقة السادسة)

الفصل الأول

الروايات الواردة في جمع القرآن على يد أربعة أشخاص في حياة محمد ﷺ.

المحتويات

أ- المقدمة
(ب) النصوص الممثلة
(ج) تحليل التفسيرات والانتقادات
أ. المتن
ب .دلالة لفظ جمع
ج .وجود تعارض بين الروايات
د .أسلوب الحصر في الروايات
ه. الإسناد
و .الخلاصة
ط .الملاحق
أ. بعض الروايات المشابهة
ب. التعريف بأبي زيد رضي الله عنه

المقدمة

ورد في بعض الروايات أن أربعة أشخاص من الأنصار قد قاموا بجمع القرآن في حياة النبي ﷺ. وعلى الرغم من أن غالبية العلماء فسّروا لفظ "جمع" *jama'a* في

العربية) الوارد في هذه الروايات على أنه الحفظ عن ظهر قلب، إلا أن هناك من ذهب إلى أن المقصود به هو الجمع الكتابي للقرآن.

وسيتم في هذا الفصل تناول هذه الروايات بالتحليل وفق الترتيب الآتي:

أولًا: عرض نصوص ممثِّلة لهذه الروايات.

ثانيًا: بيان التفسيرات والانتقادات التي وُجِّهت إليها من قبل عدد من الباحثين.

ثالثًا: إخضاع تلك التفسيرات والانتقادات للتحليل والنقد العلمي.

وأخيرًا: الوصول إلى خلاصة عامة بشأن التفسير الراجح لهذه الروايات.

وفي نهاية الفصل، سيجد القارئ ملاحق تشتمل على بعض المواد ذات الصلة بالموضوع.

ب -النصوص الممثلة

تنقسم الروايات الواردة في هذا الشأن إلى فئتين:

الفئة الأولى تذكر أن أربعة أشخاص — وجميعهم من الأنصار رضي الله عنهم — قد جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ.

أما الفئة الثانية، فتورد ذلك بأسلوبٍ حصريّ، حيث تنصّ على أنه لم يجمع القرآن في حياة النبي ﷺ أحدٌ غير هؤلاء الأربعة من الأنصار.

الفئة الأولي: فقد جاءفيها:

"حدثنا حفص بن عمر حدثنا همام حدثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه من جمع القرآن على عهد النبي.[٩٢-٩٣] قال أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد .

الفئة الثانية وجاء حديث آخر في ذلك:

"حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد الله بن المثنى قال حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس بن مالك قال مات النبي ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه.[٩٤]

تحليل التفسيرات والانتقادات [٩٥]

يمكن تصنيف التفسيرات والانتقادات التي قدّمها عدد من العلماء بخصوص هذه الروايات إلى نوعين:

ما يتعلّق بمتن الروايات، وما يتعلّق بأسانيدها .وسيُبحث كلٌّ منهما على حدة.

أ. متن الروايات

يمكن تصنيف التفسيرات والانتقادات المرتبطة بمتن الروايات إلى المحاور الآتية:

دلالة لفظ "جمع"

٢- دعوى وجود تعارض بين الروايات

٣- مسألة الأسلوب التقييدي في الروايات

دلالة لفظ "جمع"

يرى الرحماني[٩٦] والعمادي[٩٧] والخوئي[٩٨] أن لفظ "جمع" الوارد في هذه الروايات يُراد به الجمع الكتابي، أي التدوين في صورة مكتوبة. أما العثماني[٩٩](المولود ١٩٤٣م)، فمع أنه يميل إلى أن اللفظ يدل على الحفظ، فإنه يقرّ بإمكان أن يكون المقصود به الكتابة، ويرجّح أن هؤلاء الأربعة هم وحدهم الذين كتبوا القرآن كاملًا، بينما كان غيرهم إمّا حافظين له فقط أو كاتبين لبعض أجزائه دون بعض.

ولم يُفصّل أحدٌ من هؤلاء في تعليل حمل اللفظ على معنى الجمع الكتابي سوى الرحماني، ويمكن تلخيص وجوه الاستدلال له على ذلك فيما يأتي:

أولًا:

إن المعنى اللغوي الأصلي للفعل "جمع" هو الضمّ والترتيب، وهو معنى ينسجم مع الكتابة أكثر من انسجامه مع الحفظ. صحيح أن لفظ "جمع" قد يُستعمل أحيانًا بمعنى الحفظ، إلا أن هذا الاستعمال مجازي، والأصل حمل اللفظ على معناه الحقيقي ما لم توجد قرينة تصرفه عنه. ولا توجد هنا قرينة توجب العدول عن المعنى الحقيقي، بل إن حمله على معنى الحفظ يوقع في إشكال، إذ من المعلوم تاريخيًا أن حفظة القرآن كانوا كثيرين، لا محصورين في عدد محدود.

ولتوضيح المعنى الحقيقي للفظ: "جمع" يستشهد الرحماني بكلام الإمام البخاري في تفسير قوله تعالى

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾

حيث قال:

تأليف بعضه إلى بعض، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، فإذا جمعناه وألّفناه فاتبع قرآنه، أي ما جُمع فيه فاعمل بما أمرك الله وانته عما نهاك، ويقال: ليس لشعره

قرآن، أي ليس فيه تأليف: ومعناه: إن المقصود بـ"*جمعه*" في الآية هو تأليف أجزائه وربط بعضها ببعض، لا مجرد حفظه في الصدور. وقوله تعالى:

﴿*فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتبع قرآنه*) *يدل على ذلك فأن السلف قد فسروه بماياتي:*

أي: إذا جُمع وأُلّف ترتيبُه، فاتبع تلاوته والعمل بما فيه من أوامر ونواهٍ. ويُقال في اللغة *ليس لشعره قرآن*، أي ليس فيه ترتيب ولا تأليف.١٠٠

الهوامش

٩٠- يُلاحظ أنّه إلى جانب هذه الروايات الواردة عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، توجد روايات أخرى عن عدد من الأعلام تذكر أسماء بعض الصحابة الإضافيين الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ. وللاطلاع على مناقشة تفصيلية لهذه الروايات، انظر: الملحق (أ)

٩١- فتح الباري، ج ٩، ص ٤٢ هذا التفريق قد أشار إليه ابن حجر. انظر ابن حجر.

٩٢- يوجد خلاف بين العلماء حول الاسم الحقيقي لأبي زيد. ولمزيد من التفصيل، انظرالملحق (ب)

البخاري، الجامع الصحيح، ج ٤، ص ١٩١٣، (رقم ٤٧١٧). وانظر أيضًا:

٩٣- المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٣٨٦، (رقم ٣٥٩٩)؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، ج ٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص ١٩١٤، (رقم ٢٤٦٥)؛ والمصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩١٤، (رقم ٢٤٦٦)؛ و أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٢ (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ)، ص ١٥٠، (رقم ١٥٤٢)؛ و أبو حاتم محمد بن حبان البستي، الصحيح، ط ٢، ج ١٦ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ص ٧٢، (رقم ٧١٣٠)؛ والترمذي، السنن، ج ٥، ص ٦٦٦، (رقم ٣٧٩٤)؛ والنسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٩، (رقم ٨٠٠٠)؛ وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، ج ٦ (مكة: مكتبة دار الباز، ١٩٩٤م)، ص ٢١١، (رقم ١١٩٧٢)؛ وأحمد بن حنبل، المسند، ج ٣، ص ٢٣٣، (رقم ١٣٤٦٦)؛ وج ٣، ص ٢٧٧، (رقم ١٣٩٧٢)؛ وأبو يعلى أحمد بن علي، المسند، ط ١، ج ٥ (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م)، ص ٢٥٨، (رقم ٢٨٧٨)؛ وج ٥، ص ٤٦٧، (رقم ٣١٩٨)؛ وج ٦، ص ٢٢، (رقم ٣٢٥٥)؛ وأبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤، ج ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ص ٢٢٩؛ والنسائي، فضائل القرآن، ط ٢ (بيروت: دار البيضاء، ١٩٩٢م)، (رقم ٢٥)؛ و أبو جعفر

النحاس، الناسخ والمنسوخ، ط ١، ج ١ (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ)، ص ٤٧٩–٤٨٠؛ و أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ط ١، ج ١٤ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م)، ص ٢٢٠–٢٢١؛ وأبو داود الطيالسي، المسند، ج ١ (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص ٢٧٠، (رقم ٢٠١٨)؛ و جمال الدين الظاهري الحنفي، مشيخة ابن البخاري، ط ١، ج ٢ (مكة: دار عالم الفؤاد، ١٤١٩هـ)، ص ٩٤٧؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص ٣٥٦؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٧، ص ٣٢٣–٣٢٤؛ وج ١٩، ص ٣٠٨–٣٠٩؛ وج ٥٨، ص ٣٩٧–٣٩٨

٩٤- البخاري، الجامع الصحيح، ج ٤، ص ١٩١٣، (رقم ٤٧١٨). وانظر أيضًا البخاري، التاريخ الكبير، ج ٧، ص ٧٦؛ والطبراني، المعجم الأوسط، ج ٧، ص ٣٦٢، (رقم ٧٧٣٥)؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٧، ص ١١٠

٩٥- يأتي تحليلي للنقد بعد كل فاصل مختصر في النقاط التي تمت مناقشتها. وقد اعتُمد هذا الأسلوب نفسه في بعض الفصول الأخرى أيضًا. غير أنّ العناوين في بعض المواضع تُبيّن موضع النقد صراحة.

٩٦- رحماني، تاريخ القرآن، ص ٥٤–٥٦.

٩٧- عمادي، جمع القرآن، ص ١٦٩–١٧٠.

٩٨- الخوئي، البيان، ص ٢٦٩–٢٧٠.

٩٩- محمد تقي الدين عثماني، تكملة فتح الملهم، ط ١، ج ١١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٦م)، ص ١٥٧.

١٠٠- صحيح البخاري، الجامع الصحيح، المجلد الرابع، الصفحة ١٧٧٠.

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي

فهم القرآن والحاجة إلى تحقيق الروايات التفسيرية

(الحلقة الرابعة والأخيرة)

(أ)

بغضّ النظر عن كون جميع هذه القراءات التي يدعى ثبوتها إنما رُويت عن رواةٍ مجروحين غير موثوقين عند المحدّثين، فإن أنصار القراءات السبع أو العشر لا يجيبون أبدًا عن هذا السؤال المنطقي الجوهري: كيف يمكن أن يُقرأ لفظٌ واحد من القرآن سبع مرات أو عشر مرات بطرق مختلفة؟ وكيف كان رسول الله ﷺ يقرؤه في الواقع؟

وفي معرض نقده للحديث المشهور في مسألة «الأحرف السبعة»، يكتب العلامة شبير أحمد أزهر ميرٹهي ما خلاصته:

"إن هذا الحديث لغوٌ من أوله إلى آخره، ولم يتأمل واحدٌ من رواته في الأسئلة التالية

١- لماذا تمنى رسول الله ﷺ القراءة على أكثر من حرف؟ ولماذا لم يكتفِ بالحرف الذي قرأه عليه جبريل عليه السلام ابتداءً؟

٢- إن قراءة أي كتاب على أسلوب واحد أيسر بكثير من قراءته على سبعة أو ستة أو خمسة أو أربعة أو ثلاثة أو أسلوبين مختلفين: فكيف يتصور مثلًا أن تُقرأ مرة "أنعمتَ *عليهم*" *ومرة*

«أُنعُمتَ» ، ثم«نُعمتَ» ، ثم«أُنعمتَ»ثم مرة أنعمتُ"و

«إنعمتَ»، ثم «إِنعمتَ»، ثم ثم مرة أخرى «نَعمتَ»

مع أن تغيّر هذه الأوجه يؤدي بالضرورة إلى تغيّر المعاني والدلالات.

إن هذا يفضي إلى حرجٍ شديد، وتكلّفٍ ومشقّة، ووقوعٍ في الغلط، ومن المستحيل أن تكون هذه رغبة النبي ﷺ لأمته، إذ لا يُعقل أن يريد لهم الضيق والعنت في شأن القرآن.

ثم ليُبيّن لنا أحدٌ: أيَّ آيةٍ من القرآن، أو أيَّ جملة، أو أيَّ كلمة، قال النبي ﷺ للصحابة عنها: «اقرؤوها هكذا، ويجوز أن تقرؤوها هكذا أيضًا»؟ لا يوجد مثل هذا البيان لا في حديث صحيح ولا حتى في حديث ضعيف.

لقد علّم رسول الله ﷺ القرآنَ للصحابة، وتعلّمه عنهم عددٌ لا يُحصى من التابعين، ثم عنهم أتباع التابعين، وهكذا وصل إلينا القرآن كاملًا بآياته وكلماته عبر التواتر والاستمرار في كل عصر. وكانت المصاحف تُكتب إلى عهد الحجاج بن يوسف الثقفي بلا نقط ولا حركات، ثم كلّف الحجاج بن يوسف سبعين من العلماء الثقات بضبط القرآن بالحركات والإعراب تيسيرًا للمسلمين الحاضرين واللاحقين. وهذا هو المصحف الذي يُقرأ ويُحفظ ويُطبع في أنحاء العالم المعاصر.

لكن هواة الخلاف والتشغيب لم يرضَوا بذلك، فسعوا إلى جعل القرآن نفسه ساحةً للاختلاف، واخترعوا لإثبات هذا الخلاف أحاديث مرفوعة، ونسبوا آثارًا إلى الصحابة. وقام رواة جهلة لا يتقون الله بنقل هذه الموضوعات، ثم دوّنها بعض المصنفين من المحدثين بسبب السذاجة وقلة البصيرة. ومن هذه الأحاديث الموضوعة – بحسب بحثنا – هذا الحديث محل النقاش، الذي رواه الزهري عن عبيد الله عن عبد الله بن عباس (انظر: دراسة صحيح البخاري بالأردية ٤٩/٢)[٣١].

ولا يملك أحدٌ جوابًا عن هذه الإشكالات إلا تأويلاتٍ متكلفة ضعيفة. وإنما تبنّى البعض موقفًا غير منطقي وغير عقلي تجاه القرآن، متأثرين ببعض الروايات، لأن "الكبار قالوا ذلك"، فيُطلب الإيمان به بلا سؤال.

والعجيب أن أكثر من يرفع نعرة «الإجماع» هنا هم أولئك الذين لا يعترفون أصلًا بحجية أي شيء سوى القرآن والحديث، ويشنّعون على التقليد الفقهي، لكنهم في مسألة القرآن يقعون في تقليدٍ أعمى وغير علمي!

(ب) وكان كفار مكة والمشركون المعاندون واليهود يتهمون رسول الله ﷺ بأنه ساحر أو مسحور أو مجنون أو كاهن، وقد ردّ القرآن هذه التهم ردًّا قاطعًا في

مواضع كثيرة، لكن بعض الروايات التفسيرية جاءت لتؤكّد بنفسها تهمة السحر!

قد يُفهَم أن السحرة حاولوا إيذاء النبي ﷺ، لكن القول بأن محاولتهم نجحت، وأنه ﷺ بقي ستة أشهر في حالة مسحورية – كما في روايات البخاري ومسلم – أمرٌ خطير. بل إن صاحب *تفهيم القرآن* نفسه، متأثرًا بكثرة هذه الروايات، قبل هذا التصور، وذهب إلى أن السحر أثّر في شؤون البيت فقط دون الوحي.[٣٢]

والسؤال البديهي: إذا قُبل مبدأ تأثر النبي ﷺ بالسحر مرة واحدة، فعلى أي أساس نُفرّق بين الوحي وغيره؟ وحتى لو سلّم المسلم – مؤقتًا – بذلك، فكيف سيُقنع غير المسلم؟ ومن هنا وجد المستشرقون مادةً للطعن، حتى زعموا أن النبي ﷺ كان مصابًا بالصرع أو باضطراب نفسي. (والعياذ بالله)

وقد وُجّهت انتقادات شديدة لهذه الروايات حتى عند بعض السلف؛ إذ ردّها الإمام الرازي والإمام الجصاص الحنفي ونسباها إلى الزنادقة. لكن التيار الحديثي المتشدد يرفض رأيهما بحجة أن «الحديث ليس فنّهما»

أما العلامة شبير أحمد أزهر الميرٹهي، فيرى أن الروايات لا تثبت إلا محاولة السحر، أما التأثير فقد انتفى بنص قوله تعالى:

﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)

ويقول:

إن الروايات التي رواها هشام بن عروة لا يثبت في أيٍّ منها أن عروة سمع هذا الحديث من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بل السند فيها دائمًا معنعنا: «هشام عن أبيه عن عائشة». وأغلب الظن عندي أن هذه القصة نُسبت إلى عائشة من قِبل شخصٍ ما، ولم يذكر عروة اسمه، فروى ذلك بقوله «عن عائشة». ولدينا أمثلة كثيرة لروايات قال فيها عروة «عن عائشة» دون أن يكون قد سمعها منها مباشرة. وعليه، فالسند غير متصل، والحديث غير صحيح أصوليًا، وباطل درايةً. والخلاصة: أن محاولة السحر وقعت، لكنها فشلت ولم تؤثّر، تنفيذًا لقوله تعالى:

﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٣٣]

وخلاصة القول: إن الروايات التفسيرية تحتاج إلى تمحيصٍ علمي دقيق، ولا

يزال أمام الباحثين عملٌ ضخم لم يُنجز بعد. أما قبول هذه الروايات كما هي، فسيحول دون الفهم الصحيح للقرآن. وقد أُنجزت بعض الأبحاث المعاصرة حول الإسرائيليات، لكن لا بد من توسيع هذا الجهد، وإعادة النظر في مجمل الروايات التفسيرية بروح نقدية علمية شاملة.

الهوامش

٣١- يُنظر: *إشراق* (الأردية – أمريكا)، عدد أغسطس ٢٠٢٥

٣٢- سيد أبو الأعلى المودودي، *تفهيم القرآن*، تفسير المعوذتين، المجلد السادس: من سورة التحريم إلى سورة الناس، ص ٥٥٥، إدارة ترجمان القرآن، لاهور.

٣٣- يُنظر: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي رحمه الله، هل تأثّر النبي ﷺ بالسحر؟، *إشراق العربية أمريكا ٢٠٢٥*.

بقلم: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

تدوين: د. محمد غطريف شهباز الندوي

من هو الفاعل في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلّٰى﴾؟

(في ضوء دراسة تفسيرية جديدة)

يرى جمهور المفسّرين أن فاعل قوله تعالى: **﴿عَبَسَ وَتَوَلّٰى﴾** هو النبيّ الكريم ﷺ. غير أنّ بعض المتأخّرين—ومنهم المحدّث العلّامة الداؤودي—ذهب إلى أنّ الفاعل هو كافرٌ قرشي لا النبي ﷺ. وغالب الظن أنّ المقصود بالداؤودي هو الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن مظفّر الداوودي. وقد نقل الحافظ ابن حجر هذا القول في *فتح الباري*، ويذكر الداوودي غير مرّة: فتارة يقبل كلامه، وتارة يردّه، وأحيانًا يمرّ عليه معلقا بقوله : *وقد أغرب الداوودي وقال...*، مما يدلّ على مكانته العلمية. وفي عصرنا اختار العلّامة شبير أحمد أزهر الميرتهي رحمه الله الرأيَ نفسه. وفيما يلي ننقل للقارئ مقطعًا مختارا من تفسيره مع ما يتعلّق به يقول الكاتب:

تمهيد السورة

"هذه السورة مكيّة، وسُمّيت بأوّل لفظٍ فيها. ويُرجّح نزولها بعد سورة النازعات، وموضوعها قريبٌ من موضوعها؛ إذ ذُكر في *النازعات* طاغيةٌ سابق (فرعون) وعاقبة طغيانه النار، وهنا ذُكر طاغيةٍ آخرمتكبّر من طغاة مكّة.

الخلفية

كان عبدُ الله بن أمّ مكتوم رضي الله عنه صحابيًا جليلًا قديمَ الإسلام، ضريرًا. وأمّه عاتكة بنت عبد الله المخزومية—المعروفة بأمّ مكتوم—خالةُ أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها. وقد كان الشاب ابن أمّ مكتوم كثيرَ التردّد على النبي ﷺ، مشتغلًا بحفظ القرآن وتعليمه، ويخرج للدعوة بين الناس. وفي يومٍ قصد رجلًا

من كفّار مكّة معروفًا بمخالطة الأغنياء، لا يلتفت لنصيحة الداعي إلى الحق. ويُرجّح أنّ ابن أمّ مكتوم قصده للدعوة. فلمّا حضر، استقبح ذلك الرجل مجيئه بسبب عماه، فتقطّب وجهه وأعرض عنه وانصرف. فذمّ الله هذا المتكبّر، وبيّن عمى بصيرته، ووبّخه على تملّقه لأهل المال.

ولا يذكر القرآن اسم ذلك المتكبّر، إذ القرآن كتاب هدايةٍ وإصلاح؛ يذكر الأسماء حيث تقتضي الحكمة، ويكتفي بالصفات حيث لا حاجة لذكر الأسماء.

قال تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾

بيان الآيات

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾

التعريف يدلّ على شخص معيّن، وليس في المهاجرين الأوّلين أعمى غير ابن أمّ مكتوم رضي الله عنه، لذا حمله المفسّرون عليه. والذي يأتي طالبًا اللقاء يُعدّ ضيفًا، وسوءُ معاملته فظاظةٌ ظاهرة. ولو كان في مجيئه ضررٌ متوقَّع لكان ثَمّة عذر، أمّا أن يُقابَل بالجفاء لكونه أعمى فقط فهذه خسّة. وكان الأولى إكرامه والاستماع إليه؛ فربّ صحبةٍ نافعة، وربّ كلمةٍ مُثمرة.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾

أي: لمَ لمْ تُحسن استقباله؟ لعلّه صالحٌ فتنتفع بصحبته، أو طالبُ هدايةٍ فتفيدُه النصيحة. لكنّك أعرضت عنه لأجل عماه، بينما تلاحق الغنيّ وتُجامله، ولا يهمّك فساد سيرته.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى﴾

تسعى للقائه في المجالس والأسواق، وتتعلّق به.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾

غناه يحجبك عن رؤية عيوبه.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّى﴾

تُعرض عنه وتشتغل بغيره.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾

القرآن نزل للناس كافة: غنيّهم وفقيرهم، صحيحهم ومعذورهم، عربيّهم وأعجميّهم. من وعاه وعمل به نال رحمة الله.

تنبيهات

١. ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: *أو* للتنويع؛ فالآتي إمّا نافعٌ بصحبته، أو منتفعٌ بالنصيحة، أو مُضرّ. وكان معلومًا أنّ الأعمى ليس من القسم الثالث، فكان مقتضى العقل والمروءة إكرامه.

٢. الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ مؤنّث عائد على *الآيات*، وفي ﴿ذَكَرَهُ﴾ مذكّر عائد على *القرآن*؛ إذ الموعظة تقع بآيات، والمطلوب استذكار القرآن كلّه.

مناقشة الرأي المشهور

ذهب جمهور المتقدّمين والمتأخّرين إلى أنّ الفاعل في "عبس وتولى "هو النبي ﷺ اعتمادًا على روايةٍ اشتهرت، وخلاصتها أنّ ابن أمّ مكتوم جاء النبي ذات يوم وكان مشتغلا في الحديث مع بعض أشراف مكة، فقطع على النبي ﷺ حديثه مع أشراف قريش، فكره ذلك فعبس النبي صلى الله عليه وسلم ونزل الوحي زاجرًا له على ماصدرمنه من عبوس الوجه إلى الأعمي. غير أنّ هذه الرواية غير ثابتة؛ لم يخرجها البخاري ولا مسلم ولا أبو داود ولا النسائي ولا ابن ماجة، وإنما أخرجها الترمذي مع التصريح بالاضطراب في إسنادها؛ ذكر بعض الرواة أن هذا القول هو من كلام التابعي عروة بن الزبير، بينما نسبه آخرون إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .وقد أخرج الترمذي هذا الخبر بلفظه فقال:

عن عائشة قالت: *نزلت* ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ *في ابن أم مكتوم الأعمى* .أتى رسولَ الله ﷺ فجعل يقول: يا رسولَ الله، أرشدني. وكان عند رسول الله ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ويُقبل على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأسًا؟» فيقول: لا. ففي هذا نزلت...

ثم قال الترمذي :هذا حديث حسن غريب. وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال: *نزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم*، ولم يذكر فيه عائشة.

(سنن الترمذي، ج ٢، أبواب التفسير، سورة عبس)

كما هو واضح للناظرين، تذكر هذه الرواية أن النبي ﷺ كان مشغولًا بالكلام مع أحد المشركين من ذوي المال والنفوذ، وأن هذا المشرك كان متأثرًا بموعظة النبي ﷺ.

وهنا يبرز سؤال عقلي مباشر:

لو صحّ هذا الحدث، فأين محل العتاب الحقيقي؟ أليس الأولى باللوم – بحسب هذا التصوير – هو ابن أم مكتوم لا غيره؟ حتى الإمام الرازي قد أثارهذا السؤال.

فالآية تقول بوضوح: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ثم يخاطب الله تعالى هذا العابس المتولي بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾

أي أن الخطاب موجَّه إلى من عبس وتولى، وبيَّن له قصور نظره. ثم إن مقاطعة الواعظ أثناء دعوته، والتدخل بينه وبين من جاءه طالبًا للهداية، هو تصرّف فظّ لا يليق، خاصة إذا كان النبي ﷺ منشغلًا بالتبليغ. وكان الأولى بابن أم مكتوم – لو صحّ المشهد – أن يصبر حتى يفرغ النبي ﷺ ثم يطلب التعليم.

وفي رواية الترمذي أصلًا لا ذِكر إلا لرجلٍ واحد من المشركين، لكن بعض الناس أضافوا من عند أنفسهم:أبا جهل، وعتبة بن ربيعة، وأُبيّ بن خلف، بل وأضاف بعضهم في المجلس العباس بن عبد المطلب!

وقد روى ابن جرير الطبري هذا الخبر بإسناده:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس. (تفسير الطبري – سورة عبس)

غير أن هذا الإسناد ظلّ عند أهل العلم لغزًا مظلمًا لا حل له. وقد أكثر ابن جرير من الروايات بهذا السند، حتى لم يجد العلماء وصفًا له أدق من قولهم: "إسناد مظلم"[1] يقول محقق كتاب الإمام أبي بكر ابن العربي العواصم من القواصم عن هذا الإسناد:

إسناد: حدثني محمدبن سعد قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، يجهل علماء الجرح والتعديل أسماء أكثرهم فضلاعن أن يعرفوا شيئا من أحوالهم، العواصم من القواصم تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧١ هجرية)

وقد سألتُ عددًا من كبار أهل العلم في زماني عن هذا الإسناد، فلم يكن عند أحد منهم جواب شافٍ. ومع ذلك، بنى كثير من المفسرين تفاسيرهم على

هذه الرواية الواهية.

وصدق القائل:

حقیقت خرافات میں کھو گئی

یہ اُمّت روایات میں کھو گئی

"هذه الأمة ضاعت في الروايات وضاعت الحقيقة في الخرافات."

(٣) كما أن تفسيرهم لقوله تعالى:

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾

جاء عجيبًا وغريبًا أيضا وأغرب ما قيل في ذلك ما كتبه أبو الأعلى المودودي، حيث قال:

"السَّفَرة هم الملائكة الذين كانوا يكتبون القرآن في تلك الصحف مباشرةً بإرشاد الله، ويحفظونها، ثم يسلّمونها للنبي ﷺ كما هي."

(تفهم القرآن – سورة عبس، حاشية ٦)

وهنا سؤال منطقي بسيط: هل كان القرآن ينزل على النبي ﷺ مكتوبًا في صحف؟ وأين ذهبت تلك الصحف التي كتبها الملائكة؟ ولماذا لم يُرِ النبي ﷺ أحدًا منها قط؟

الواقع المشاهد أن القرآن يُزكّي النفوس، ويُطهّر من الذنوب، ويُصلح العقائد، ويصنع إنسانًا مستقيمًا. وقد ذمّ الله تعالى من يُعرض عن هذا التأثير. فكيف يُعقل أن يكون المخاطَب بالذم هو رسول الله ﷺ؟

٤- والحق أن هذه الرواية وحدها هي التي دفعت بعض الناس إلى هذا الفهم الخاطئ، ولولاها لما خطر ببال أحد أصلًا أن يُسند هذا العتاب إلى النبي ﷺ. لقد كانت هذه الرواية حاجزًا ذهنيًا منع من فهم الآيات على وجهها الصحيح .

وأرى أن فاعل *عبس وتولى* هو رجل كافر، لا النبي ﷺ. وقد سُررتُ حين علمت أن هذا الرأي قال به عالم كبير قبل قرون.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في *فتح الباري*:

"لم يختلف السلف في أن فاعل عبس هو النبي ﷺ، وأغرَبَ الداودي فقال: هو الكافر." (فتح الباري، تفسير سورة عبس، ج ٩، ص ٥٢١ – ط. مصر)

وليت ابن حجر نقل كلام الداودي كاملًا..."

وجهات نظر

بقلم: د. محمد أكرم الندوي (آكسفورد)

العلم الحديث بين القوة والحكمة

[هذا العمود المعنون بـ"وجهات نظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته.]

يُنظر إلى العلم الحديث على نطاق واسع بوصفه أنجح نظام لإنتاج المعرفة عهده تاريخ البشر، وتستمد سلطته من قدرته العجيبة على كشف العلاقات العلِّيَّة والسببية التي تحكم الأحداث والعمليات في العالم الطبيعي، وإخضاع هذه العلاقات للملاحظة المنهجية، والقياس الدقيق، والضبط التجريبي. وعلى هذا الأساس، لم يُنتج العلم معرفة موثوقة فحسب، بل أفضى أيضًا إلى مستوى غير مسبوق من القدرة التكنولوجية. ومع ذلك، فإن هذا النجاح الباهر يتضمن توترًا فلسفيًا جوهريًا. فالالتزامات المنهجية ذاتها التي تمكّن العلم من بلوغ أرقى درجات الدقة، هي ذاتها التي تُقيّد نطاق الأسئلة التي يمكن للعلم طرحها أو يرغب في تناولها. وحين يُحصر البحث العلمي في العلل الفاعلة ويُفصل عن التأمل في الغايات والقيم والعواقب البعيدة، فإنه يميل إلى إنتاج قوة بلا حكمة: قدرة على التحكم في العالم تفوق فهمنا لكيفية ممارستها، ولماذا ينبغي ممارستها، أو ما إذا كان ينبغي ممارستها أصلًا.

ومن منظور فلسفي، يُمثّل العلم الحديث تضييقًا تاريخيًا مخصوصًا لمفهوم العقلانية. فقد ميّزت التصورات الكلاسيكية للتفسير، ولا سيما عند أرسطو،

بين أنواع متعددة من العلل، شملت الفاعلة والمادية والصورية والغاية. أما العلم الحديث، فيعرّف التفسير غالبًا تعريفًا ينحصر في السببية الفاعلة وحدها: أي تحديد الآليات التي تُفضي إلى آثار قابلة للملاحظة على نحو منتظم. وليس هذا التقييد عَرَضيًا، بل هو جوهر العقلانية العلمية الحديثة. فبإقصاء أسئلة الغاية والمعنى، يجعل العلم العالم الطبيعي قابلاً للحساب، والتنبؤ، والتلاعب. وما يُكتسب هو الدقة؛ وما يُفقد هو فهم أعمق للظواهر بوصفها عناصر ضمن كلٍّ منظّم يتجه نحو غايات معقولة.

والتفسير العلمي بهذا المفهوم انتقائي بالضرورة. فمن أجل إنتاج معرفة دقيقة وقابلة لإعادة التحقق، يجب عزل المتغيرات واستبعاد العوامل السياقية التي لا يمكن ضبطها. وليس هذا التجريد عيبًا في العلم، بل إنه شرط أساسي لنجاحه. ومع ذلك، فإنه ينطوي على قيد معرفي عميق، إذ إن الأحداث والعمليات الطبيعية لا تقع في عزلة، بل هي منغمسة في أنظمة معقدة متداخلة تتكشف عبر الزمان والمكان. ومن خلال التجريد من هذا التعقيد، يُنتج العلم معرفة تصح ضمن شروط شديدة الخصوصية، لكنها تصبح على نحو متزايد منفصلة عن شروط الواقع المعيش. ويبرز الخطر حين يُعاد تفسير هذه المعرفة ضمنيًا بوصفها شاملة لا جزئية، وكأن ما يمكن قياسه هو ذاته ما هو واقعي وذو دلالة.

ويُفاقم التخصص المتزايد في الحقول العلمية هذه المشكلة، إذ كلما ازداد البحث دقة، ازدادت المعرفة تفتتًا وتشظيًا. فكل اختصاص يطور أدوات وأساليب متقدمة للتحقيق في مجال ضيق للغاية، بينما يُعطى اهتمام ضئيل بالمهمة الفلسفية الأكبر المتمثلة في ربط هذه المعارف الجزئية ببعضها لتكوين رؤية شاملة. ومن منظور نظرية المعرفة، يؤدي هذا الوضع إلى تكاثر حقائق محلية ومعزولة، دون تقديم إطار منهجي يوضح العلاقات بينها ويضعها في سياق أوسع. ومن منظور العقل العملي، يُنتج وضعًا لا يكون فيه أي فاعل أو مؤسسة مسؤولة عن فهم الكل، فالمعرفة تصبح مجزأة، بينما الأفعال تؤثر في أنظمة يفوق تعقيدها إدراك أي مجال منفرد.

ولا يعود هذا التفتت أساسًا إلى إخفاقات فردية للعلماء، فمعظمهم يعمل بحسن نية ضمن أعراف تخصصاتهم، ملتزمين بالصرامة المنهجية والمساءلة التجريبية.

لكن المشكلة الأعمق تكمن في الإدماج الاجتماعي والمؤسسي للمعرفة العلمية. فالعلم الحديث لا ينفصل عن البُنى الاقتصادية والسياسية التي تدعمه، وهذه البُنى موجّهة نحو الكفاءة والربحية والسيطرة. وكما لاحظ ماكس فيبر، فإن العقلنة الحديثة تُعلي من شأن العقل الأداتي، أي تحسين الوسائل دون تأمل في الغايات. وبما أن البحث العلمي يعتمد على التمويل الخارجي، فإنه يتشكّل تبعًا لأولويات تقع خارج المجال المعرفي ذاته، فتُفضَّل الأسئلة التي تعد بتطبيق تكنولوجي وعائد اقتصادي، بينما تُهمَّش الأسئلة التي تقاوم التسليع.

ويجسّد قطاع الصناعات الدوائية هذا المنطق بوضوح خاص. فقد يُعدّ الدواء ناجحًا إذا حقق نتائج ذات دلالة إحصائية في ظل شروط مضبوطة، حتى وإن كانت فعاليته جزئية وآثاره الطويلة الأمد غير مؤكدة. وتكفي مثل هذه النتائج لتبرير الإنتاج الواسع والاستثمار اللاحق. وعلى النقيض من ذلك، فإن العلاجات التقليدية أو الشمولية التي تُظهر فعالية مماثلة لا توفّر حافزًا اقتصاديًا يُذكر. وبدلًا من تقييمها وفق شروطها الخاصة، تُفكّك إلى مكوّنات قابلة للعزل يمكن تسجيل براءات اختراع لها وتسويقها. وتعكس هذه العملية التزامًا فلسفيًا أعمق: افتراض أن المعرفة ذات قيمة بقدر ما تُفضي إلى السيطرة، وأن الفهم مكافئ للقدرة على التلاعب بعناصر منفصلة، فيما يُهمل تصور الصحة بوصفها حالة متكاملة من العافية الجسدية والاجتماعية والبيئية.

وتتجلّى الحدود الفلسفية لهذا النهج بوجه خاص حين تُترجم المعرفة العلمية إلى تدخلات تكنولوجية في أنظمة طبيعية معقدة. فالعلم التجريبي قادر على تحديد آثار مادة كيميائية واحدة على نسيج حي بدقة تحت شروط مضبوطة، وعند إعطائها بكميات محددة ولمدد زمنية قصيرة، قد تبدو غير ضارة. ومن منظور علمي ضيّق، تكون هذه الاستنتاجات صحيحة، لكنها تقوم على تجريدات تتلاشى خارج المختبر. ففي البيئات الواقعية، تتعرض الكائنات الحية لمواد كيميائية متعددة في آن واحد وعلى فترات ممتدة، وضمن نظم بيئية تتسم بحلقات تغذية راجعة معقدة، فتظل آثار التفاعل، والأضرار التراكمية، والعواقب العابرة للأجيال خارج نطاق الطرائق التجريبية القياسية.

وعلاوة على ذلك، فإن التمييز ذاته بين "صحة الإنسان" و"صحة البيئة" يعكس

تجريدًا فلسفيًا يحجب الحقيقة. فالإنسان ليس مراقبًا خارجيًا للطبيعة، بل إنه مشارك مجسّد داخل النظم البيئية، وأي ضرر يلحق بالتربة أو الماء أو الهواء أو بالحياة غير البشرية لا بد أن ينعكس في نهاية المطاف على رفاهية الإنسان. غير أن هذه الآثار النظامية تقاوم الاختزال إلى سلاسل سببية معزولة، ومن ثمّ تقع خارج السلطة المعرفية للعلم بالمعنى الضيق. وتُنقل مسؤولية معالجتها إلى عمليات سياسية وإدارية تفتقر غالبًا إلى الأدوات المفهومية والاستقلال المؤسسي اللازمين لتحدي المصالح الراسخة، فتظهر بذلك صورة من أشكال اللامسؤولية المنظمة: لا ادّعاء كاذب، ومع ذلك يكون الكل مضلّلًا بعمق.

فالمشكلة الفلسفية الأساسية ليست خطأً معرفيًا، بل عمى معرفيًا. إذ تُنتج المعرفة العلمية في ظل شروط يُنسى حضورها عند تطبيقها، وتُرفَع النتائج المتعلقة بمتغيرات معزولة ضمنيًا إلى مستوى أوصاف شاملة للواقع، بينما تبقى التجريدات الكامنة وراءها غير مفحوصة. ويُفاقم هذا الإشكال المقدار الهائل من القدرة التكنولوجية التي يولّدها العلم. فالقدرة على التدخل الفعّال تُنشئ عدم تماثل أخلاقي بين الفعل والفهم، وما يمكن فعله يُعامل سببًا كافيًا للقيام به، بينما يُؤجَّل التفكير في ما إذا كان ينبغي فعله أو يُرفض باعتباره "غير علمي".

ولا تنطوي هذه المراجعة على رفض للعلم أو للمنهج العلمي، فليس ثمة بديل جاد للتحقيق التجريبي والتجربة المضبوطة والتحكيم النقدي من الأقران في اكتساب معرفة موثوقة بالعالم الطبيعي. بل إن النقد ذو طبيعة فلسفية، إذ يتعلّق برفع شكل معيّن من العقلانية الأداتية، والسببية، والموجّهة نحو السيطرة إلى نموذج حصري للعقل ذاته، وحين تُعامَل العقلانية العلمية بوصفها مكتفية بذاتها ومحايدة قيميًا، تصبح عاجزة عن معالجة الأبعاد الأخلاقية والسياسية لآثارها.

ومن ثمّ، فإن تصورًا أقدر للعلم يقتضي إعادة دمجه في العقل العملي والفلسفي، ويستلزم ذلك عناية متجددة بالعلل الغائية، لا بوصفها عقيدة ميتافيزيقية، بل باعتبارها بحثًا تأمليًا في الغايات والقيم والمقاصد الجماعية. كما يتطلب أشكالًا مؤسسية تُعزّز التركيب البين-تخصصي والمداولة الديمقراطية بشأن تطبيق المعرفة العلمية. فالحكمة بهذا المعنى لا تنافس العلم بل تُكمله، إذ هي القدرة

على موضعة المعرفة التقنية ضمن فهم للحياة الطيبة وشروط إمكانها.

فالعلم الحديث قد حقق قدرته الاستثنائية من خلال تضييق تركيزه على ما يمكن قياسه والتنبؤ به والتحكم فيه، لكن هذا التضييق ذاته يُنتج أشكالًا من الجهل تصبح أكثر خطورة كلما تُرجمت المعرفة العلمية إلى فعل تكنولوجي واسع النطاق. وحين تُفصل القدرة عن الحكمة، تُخاطر الأدوات المصممة لتحسين الحياة الإنسانية بتقويض أسسها. ومن ثمّ، فإن المهمة الفلسفية ليست كبح العلم عن المعرفة، بل ضمان أن يظل ما يمكّننا من فعله خاضعًا للحكم التأملي بشأن ما يعنيه أن نعيش بأمن وسلام في عالم مشترك محدود الموارد.

استخدم الرابط التالي لمقالات الشيخ محمد أكرم الندوي:

channel on WhatsApp:

https://WhatsApp.com/channel/0029VbAxp2qGpLHHqQ3LoY0w

بقلم: الدكتور محمد سعد سليم
ترجمة من الأردية: أ. عثمان فاروق

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي مع الأحداث التاريخية في ضوء الكتاب المقدس والقرآن

(الحلقة الثامنة)

أسئلة متعلقة بالتعبير:

لقاء تميم الداري رضي الله عنه بالدجال:

ورد في حديث [٣٠] أن الصحابي الجليل تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قص على النبي الكريم ﷺ حادثة عجيبة، مفادها أنه خرج في رحلة بحرية مع جماعة من الناس، فهاج بهم البحر وداهمتهم عاصفة شديدة، اضطروا على أثرها إلى الرسوّ على جزيرة نائية. وفي تلك الجزيرة، صادفوا مخلوقا غريب الهيئة يعرف بـ"الجسّاسة"، فأرشدتهم إلى كهف فيه رجل عظيم الخلقة، مشدود بالأغلال والقيود. فطرح عليهم ذلك الرجل جملة من الأسئلة، ثم صرح لهم بحقيقته، معلنا أنه "المسيح الدجال" وأن زمن خروجه قد أزف واقترب. وعندما نقل تميم الداري رضي الله عنه هذه القصة إلى النبي ﷺ، أقرها وصدّقها أمام الناس، وقال: "إن هذه القصة توافق ما كنت أحدثكم به من قبل عن الدجال". غير أن هذه الرواية، في ظاهرها، أقرب إلى أن تكون رؤيا، لا لقاء حسيا واقعيا مع الدجال، ويستدل على ذلك بثلاثة اسباب رئيسة:

١- لا توجد رواية مستقلة تشهد على هذا الحدث الإستثنائي عن بقية الأشخاص الذين رافقوا تميم الداري رضي الله عنه في تلك الرحلة، وهذا يعد دليلا على أن الحادثة كانت رؤيا لا واقعة حسية.

٢- وجاء في حديث آخر أن النبي الكريم ﷺ قال:

"إنّ على رأس مائة سنة منها لا يبقى من هو على ظهر الأرض أحد". [١٠٤] ولو كان الدجال موجودا حينئذ وجودا جسديا حقيقيا، لكان داخلا ضمن هذا العموم.

٣- وكما أن النبي الكريم ﷺ قد رأى الدجال بنفسه في الرؤيا [١٠٥]، فكذلك ما رآه تميم الداري رضي الله عنه في هذه القصة كان رؤيا، لا لقاء حقيقيا في عالم اليقظة.

إمكانية كون ابن صيّاد الدجال:

ورد في بعض الأحاديث [١٠٦] احتمال أن يكون ابن صيّاد، وهو فتى كان يقيم في أطراف المدينة، هو الدجال، غير أن حديثا واضحا عن النبي ﷺ يقول:

"إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم". [١٠٧]

وهذا يوضح أنه بما أن ابن صياد كان موجودا في زمن النبي ﷺ، فلا يمكن أن يكون الدجال.

كما أن النبي الكريم ﷺ ذكر أن الدجال لن يتمكن من دخول مكة أو المدينة [١٠٨]، بينما تشير الروايات التاريخية إلى أن ابن صياد قد سافر من المدينة إلى مكة، وهو ما يشكل دليلا إضافيا على أنه لم يكن الدجال. [١٠٩]

النبي الكريم ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم واعتبارهم الدجال إنسانًا:

توضح الأحاديث أن النبي الكريم ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يعتبرون الدجال إنسانا. فقد رأى رسول الله ﷺ الدجال في الرؤيا [١١٠]، وبما أن رؤى الأنبياء هي أحد أنواع الوحي، فإنهم يروون ما يرونه بدقة تامة دون أن يضيفوا أي تفسير شخصي أو اجتهاد. وتكون تفسير رؤى الأنبياء إما بتوفيق من الله تعالى، أو تتضح حقيقتها مع مرور الزمن. وأوضح مثال على ذلك ما رآه يوسف عليه السلام في صغره من حلم، حيث رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون له، ثم تحقق هذا الحلم بعد سنوات عندما حضر له أهله في مصر، فقال لهم:

'وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّا'[١١١] وعلى هذا الأساس، عندما رأى النبي ﷺ الدجال في الرؤيا على هيئة إنسان [١١٢]، روى ما رآه بالضبط كما هو. وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك على أنه إنسان، إذ لم يقدم النبي

ﷺ أي تفسير للرؤيا. ويشير هذا إلى أن الفهم الكامل للروايات المتعلقة بالدجال وتفسيرها سيكون ممكنًا فقط عند ظهور هذه الأحداث، أما قبل ذلك، فإن طبيعتها الحقيقية تبقى موضوع اجتهاد وتقدير شخصي.

(للحديث صلة ...)

المصادر والمراجع:

١٠٣- Sahih Muslim ٢٩٤٢a: https://sunnah.com/muslim:2942a

١٠٤- Sahih Muslim ٢٥٣٨a: https://sunnah.com/muslim/44/310

١٠٥- Sahih Bukhari ٥٩٠٢: https://sunnah.com/bukhari:٥٩٠٢

١٠٦- Sahih Muslim ٢930a: https://sunnah.com/muslim:٢٩٣٠a

١٠٧- Sahih Muslim ٢٩٣٧a: https://sunnah.com/muslim:٢٩٣٧a

١٠٨- :Sahih Muslim ٢٩٤٣a: https://sunnah.com/muslim2943a

١٠٩- Sahih Muslim ٢٩٢٧a: https://sunnah.com/muslim:2927a

١١٠- Sahih Bukhari ٥٩٠٢: https://sunnah.com/bukhari:٥٩٠٢

١١١- Quran12:100/https://www.quran.com :12/100

١١٢- Sahih Bukhari ٥٩٠٢: https://sunnah.com/bukhari:٥٩٠٢

المختارات

الكاتب: الإمام المحدّث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
أخذ وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تحقيق: هل أغلظ عمر رضي الله عنه القول للعباس في طلب الصدقة؟

(الحلقة الأولى)

(مقتطف من شرحه الحافل تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدار سين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

حدثنا أبو اليمان قال أناشعيب قال ثنا أبوالزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمررسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ماينقم ابن جميل إلاأنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله،وأماخالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه واعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عليه صدقة ومثلها معها. تابعه ابن أبي الزناد عن أبيه وقال ابن اسحاق عن أبي الزناد هي عليه ومثلها معها، وقال ابن

جريج حدث عن الأعرج مثله. (ص١٩٨)

طرق الحديث:

رواه النسائي عن عمران بن بكار عن علي بن عياش عن شعيب بن أبي حمزة قال حدثني أبو الزناد مماحدثه عبد الرحمان الأعرج مماذكر أنه سمع أباهريرة يحدثه قال: قال عمررضي الله عنه أمررسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة فقيل منع ابن جميل إلخ وأما العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عليه صدقة ومثلهامعها.(سنن النسائي كتاب الزكوة باب إعطاء السيد المال بغيراختيارالمصدق الحديث الرابع.

فرواه عن شعيب أبو اليمان وعلي بن عياش واختلفا عليه في الإسناد فاسناد أبي اليمان يدل على أنه حديث أبي هريرة واسناد علي بن عياش يدل على أنه حديث عمر وأن أباهريرة سمعه من عمررضي الله عنه، ولم يتابعه على ذلك أحد.فإسناد أبي اليمان هو الصواب وإسناد على بن عياش خطأ، إنه زاد فيه وهما "قال عمر" وهذا الوهم إما من علي بن عياش أو تلميذه عمران بن بكار.

وقال أحمد حدثنا علي بن حفص ثنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمررضي الله عنه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينقم ابن جميل إلاأنه كان فقيراً فأغناه الله وأماخالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس اعتده وادرعه في سبيل الله وأما العباس فهي علي ومثلها معها. ثم قال يا عمر، أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه.(مسند ٣ ص ٢٢٣)

رواه مسلم عن زهيربن حرب عن علي بن حفص المدائني به (صحيح مسلم كتاب الزكوة قبل باب زكاة الفطر) وأبوداؤد عن الحسن بن الصباح عن شبابة بن سوار عن ورقاء بن عمراليشكري به، ولم يقل"ياعمر" (سنن أبي داؤد كتاب الزكوة باب في تعجيل الزكاة، والترمذي عن أحمد بن ابراهيم الدورقي عن شبابة به مختصراً ولفظه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العباس عم رسول الله وأن عم الرجل صنو أبيه أو من صنو أبيه. (سنن الترمذي؟ أبواب المناقب مناقب العباس رضي الله عنه) والدارقطني عن جعفر بن محمد بن محمد

الصندلي عن الحسن بن محمد الزعفراني وعن الحسين بن إسماعيل عن علي بن شعيب كلاهما عن شبابة به، مثل أبي داؤد تماماً. (سنن الدارقطني ١ ص ٢١٢طبع الهند كتاب الزكاة). وعلمنا بهذه الروايات أن كلمة من في حديث الترمذي خطأ مع أن حديثه مختصر مخل.

وقال الدارقطني حدثنا أحمد بن محمد بن زياد القطان ثني عبد الكريم بن الهيثم ثنا عبيد بن يعيش ثنا يونس بن بكير ثنا ابن اسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: أمررسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فقيل له الخ وأما العباس فهي عليّ ومثلها معها هي له. (سنن الدارقطني كتاب الزكاة باب تعجيل الصدقة) وأخرج أبو عبيد في كتاب الأموال حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه -وفيه منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس أن يعطوا الصدقة- قال: فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عن إثنين (العباس وخالد الخ) (فتح الباري ج ٣ كتاب الزكاة)

وقال النسائي أخبرنا أحمد بن حفص ثني أبي ثني إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة ثني أبوالزناد عن عبد الرحمن (الأعرج) عن أبي هريرة قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الخ مثل شعيب سواء ولم يسق لفظه (سنن النسائي-كتاب الزكاة) وذكر البيهقي أن في حديث موسى بن عقبة "فهي له ومثلها معها"(سنن البيهقي ٤ ص ١١٢)

فرواه عن أبي هريرة الأعرج وعنه أبوالزناد وعنه شعيب بن أبي حمزة وورقاء بن عمر وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن أبي الزناد-

ومعنى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرض المؤمنين على الصدقة في سبيل الله. وأرى أنه كان للإعداد في غزوة تبوك سنة تسع-وبعث رجالاً منهم عمررضي الله عنه ليذهبوا إلى بيوت المسلمين ويأخذوا منهم صدقاتهم ويأتوا بهاإليه فلما رجع عمروأصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم شكوا إليه ابن جميل وخالداً والعباس وقالوا إنهم قالوا ماعندنا ماندفعه إليكم ولم يؤدوا إلينا شيئاً-

وابن جميل كان رجلاًمؤسراً من الأنصار حديث عهد بالإفلاس رحمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجبره بالمواهب والعطايا حتى صلح حاله وبارك الله في

سعيه وكسبه فصارغنيا بعد ماكان فقيراً فاختار الكفران على الشكروالبخل على السخاء وقال ماعندي شيئ ادفعه إليكم .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينقم ابن جميل إلاأنه كان فقيراًفأغناه الله .وظاهرإن قوله هذا ينبئ عن سخط شديد ويدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدق ابنَ جميل في ما بلغه من قوله لأنه كان مؤسراً ذا مال فكيف قال: ماعندي شيئ ادفعه إليكم".

ولام رسول الله صلى الله عليه وسلم عمروأصحابه في مارفعوا إليه من خالد فقال: وأما خالد فتظلمون خالداً، إنه قداحتبس ادراعه واعتده في سبيل الله" يعنى أنه ليس ببخيل وليس ممن يضن بماله عن الإنفاق في سبيل الله. ولكن لامال عند ذلك الرجل. هو رجل غازي مجاهد وقد جعل ماكان لديه من درع وعتاد محبوساً في سبيل الله فلماذا تطلبون المال منه أعنده مال؟ ثم شكوتموه إليّ. وإن هو إلا ظلم في حقه. وقال في الرجل الثالث وهو عمه العباس بن عبد المطلب إنه عمي وعم الرجل صنو أبيه فهي عليّ ومثلها معها يعني إني أؤدي المطلوب من العباس ضعفين كما يؤدي الإبن عن أبيه. إنه بمنزلة أبي فاتكفل واتحمل عنه ضعفي ماطلبتم منه من المال. وقول النبي صلى الله عليه وسلم في هؤلاء الثلاثة ماقال يدل دلالة واضحة قاطعة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث عمر وأصحابه لتحصيل الزكاة الواجبة على المسلمين. ولكنه بعثهم لأخذ الصدقات النافلة فإن الأمر لو كان أمر الزكاة لعوقب ابن جميل على منعها كما يجب أن يعاقب تارك الصلاة المفروضة- ولم يُذكر لفظ الزكاة في شيئ من روايات هذا الحديث.

وقد أخطأ وكذب بعض الجهال حيث زعم أن عمررضي الله عنه أغلظ القول للعباس رضي الله عنه إذا امتنع عن أداء المال المطلوب فزجره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ياعمرأماعلمت أنه عمي وأن عم الرجل صنو أبيه" يعني ماكان لك أن تغلظ له القول. وهذاكذب وافتراء على عمررضي الله عنه. ليس في شيئ من روايات هذا الحديث ولا في حديث آخر صحيح أن عمر أغلظ القول للعباس. وإنما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا لعمر أني اتحمل عن العباس وأؤدي عنه ضعفي المطلوب منه لأنه عمي بمنزلة أبي وأنا ابن أخيه بمنزلة ابنه.

ملاحظات نقدية

(١) في حديث شعيب وموسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه أمر بصدقة وفي حديث ابن اسحاق "بالصدقة " وهذا أيضا يدل على أنه لم يكن أمر الصدقة الواجبة والزكاة المفروضة وإنما كان أمرالصدقة النافلة.

(٢) في حديث ورقاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حق العباس: فهي عليّ ومثلها معها وقد بينت معناه وكذا في حديثي ابن اسحاق وزاد "وهي له" يعني أن الصدقة التي أؤديها عن عمي يعود أجرهاوثوابها عليه. وفي حديث موسى بن عقبة فهي له ومثلها معها" وفي حديث شعيب فهي عليه صدقة ومثلها معها"- فأرى أن أبا الزناد كتب عن أبي هريرة في هذا الحديث"فهي عليه صدقة "هي عليّ ومثلها معها" يعني إن المال الذي طلبتموه من العباس ولم يؤده إليكم هو صدقة عليه أي قد عفوته عنه فلا آخذه منه. وأوجبته على نفسي فأنا أؤديه عنه ومثله معه. ولماحدث به أبو الزناد شعيباً وموسى بن عقبة حفظا. ترك منه "هي عليّ" وإذ حدث به ابن اسحاق وورقاء بن عمر ترك هي عليه صدقة "ولايستدل مثل هذا الإسقاط. فإذا جمعنا بين هذه الروايات تبين لنا ماهوالصواب وأماقول البخاري "وقال ابن اسحاق عن أبي الزناد هي عليه ومثلها معها"فهو عليّه بتشديد الياء وهاء السكتة. والذي قلت في حديث شعيب "فهي عليه صدقة "أن صدقة فيه بمعني العفو فنظيره قول الله تعالى:فمن تصدق به فهو كفارة له"أجمع المفسرون على أن"من تصدق به "بمعني من عفا عن القصاص".

والعجب من البيهقي حيث قال إن الذي رواه ابن اسحاق وغيره"فهي عليه صدقة ومثلها معها"حملوه على أنه صلى الله عليه وسلم كان أخّرعنه الصدقة عامين من حاجة بالعباس إليها والذي رواه ورقاء على أنه كان تسلف منه صدقة عامين. (سنن البيهقي ٤ ص ١١١)

وهذا المحمل الذي ذكره البيهقي باطل من أوله إلى آخره لأنه يقتضي أن العباس صحب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربع سنوات والحال أنه لم يصحبه إلا سنتين. فإنه انتقل من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة الهجرية. ثم إن الحديث واحد والمخرج واحد والقصة واحدة فكيف يصح هذا المحمل والحال أنه لم يقع شيئ من هذين الأمرين. ما أخّر رسول الله

صلى الله عليه وسلم الصدقة عن عباس عامين ولاتسلف منه صدقة عامين. ما كان هذا ولا ذاك. وهناك حديث روى عن علي رضي الله عنه وحديث روي عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما حديثان ضعيفان والغالب على الظن أنهما موضوعان وأردت أن أذكرهما بطرقهما إفادةً للناظرين.

حديث علي رضي الله عنه

روى الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن وهب بن جريرعن أبيه عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر في العباس إن عم الرجل صنو أبيه. وكان عمر كلمه في صدقته قال الترمذي هذا حديث حسن (سنن الترمذي أبواب المناقب مناقب العباس) ورواه عيسى بن محمد ومحمد بن يونس عن وهب بن جرير به، وفي رواية عيسى: يا عمر إن عم الرجل صنو أبيه إنا كنا قد احتجنا فاستلفنا العباس صدقة عامين وفي رواية محمد بن يونس الكديمي: إن النبي صلى الله عليه وسلم تعجل من العباس صدقة عام أو عامين. (سنن البيهقي ٤ ص ١١١)

ومعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر ساعياً فلما أتى العباس وطلب منه الزكاة المفروضة أبي العباس أن يعطيه فأغلظ له عمرالقول فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذر عن العباس بأن الزكاة ليست واجبة عليه هذا العام فإنا قد أخذناها منه في السنة الماضية لعامين. للعام الحاضر وللعام القابل وقال لعمر ما كان ينبغي لك أن تغلظ له القول فإنه عمي صنوأبي.

وقال أحمد حدثنا وهب بن جريرثنا أبي سمعت الأعمش يحدث عن عمروبن مرة عن أبي البختري عن علي رضي الله عنه قال قال عمرالخطاب رضي الله عنه للناس ماترون في فضل فضَل عندنا من هذا المال؟ فقال الناس يا أمير المؤمنين قد شغلناك عن أهلك وضيعتك وتجارتك فهو لك. فقال لي ماتقول أنت؟ فقلت قد أشاروا عليك. فقال لي قل: فقلت لم تجعل يقينك ظناً؟ فقال لتخرجن عما قلت فقلت أجل والله لأخرجن منه، أتذكرحين بعثك نبي الله صلى الله عليه وسلم ساعياً فأتيت العباس بن عبد المطلب فمنعك صدقته فكان بينكما شيئ فقلتَ لي انطلق معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدناه خاثراً فرجعنا ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس فأخبرته بالذي صنع. فقال لك أما علمت أن عم

الرجل صنو أبيه، و ذكرنا له الذي رأيناه من خثوره في اليوم الأول والذي رأيناه من طيب نفسه في اليوم الثاني فقال إنكما أتيتماني في اليوم الأول وقد بقي عندي من الصدقة ديناران فكان الذي رأيتما من خثوري له وأتيتماني اليوم وقد وجهتهما فذاك الذي رأيتما من طيب نفسي فقال عمر صدقت والله لاشكرن لك الأولى والآخرة. مسند أحمد ١ ص ٩٤) سقط في حديث أحمد هذا ذكر الاستسلاف. وتفرد به وهب بن جرير بهذا الإسناد وهو حديث منقطع فإن أبا البختري سعيد بن فيروز الطائي لم يدرك علياً ولم يذكر من سمعه منه ولو كان ثقة لسماه على أن مضمونه يدل على أنه كان غالياً في حب عليّ رضي الله عنه.

(يتبع ...)

الدكتور محمد عامر القزدر*

الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء نصوص الشريعة

دراسة تحليلية مقارنة

(الحلقة الأولى)

الملخّص

إن هذا البحث يهدف إلى دراسة تحليلية مقارنة لحكم الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء نصوص الشريعة. عرض فيه الباحث آراء العلماء من المتقدمين والمعاصرين في القضية، وحللها وناقشها مع المقارنة بين أدلتها، وبيَّـن القول الراجح المحقق فيها عنده. وبالإضافة إلى ذلك خرَّج الباحث كل ما استدل به العلماء من الأحاديث النبوية لمواقفهم المختلفة مع بيان درجاتها. واتبع فيه منهجين: المنهج المقارن، والمنهج التحليلي، وتوصل إلى أن حكم آية الحجاب الذي وجَّه الله فيها الخطاب إلى أزواج النبي صلي الله عليه وسلم بالخصوص،

* Ph.D in Qur'an and Sunnah Studies, Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge & Heritage, International Islamic University Malaysia (IIUM), Senior Research Associate at Al-Mawrid Foundation for Islamic Research and Education and Lecturer at SZABIST University, Karachi. Email: amirgazdar@hotmail.com

وأمرهن فيه بالاحتجاب عن الأجانب بشخوصهن، والتحجب الكامل، وعدم الاختلاط بهم، فهو -على القول المحقق- خاص بهن لا يصح تعميمها إلى عامة نساء المسلمين في ضوء النصوص القرآنية والحديثية وعمل المسلمين الثابت في عهد الرسالة، بل يجوز شرعًا اجتماع عامة الرجال والنساء من المسلمين في البيوت، ومجال العلم، أو العمل، بمختلف الوجوه إذا اهتموا جميعًا عند مواقع الاختلاط بامتثال الآداب والأحكام المتعلقة بالنظر، واللباس، والزينة، والاختلاط التي جاءت لهم على العموم في سورة النور.

الكلمات المفتاحية: مواقف، العلماء، الاختلاط، بين الرجال والنساء، آية الحجاب.

التعرف بالموضوع

اختلف العلماء والمفسرون في حكم الاختلاط بين الرجال والنساء واحتجاب المرأة المسلمة من الأجانب قديمًا وحديثًا. هل يجب على رجال المسلمين ونسائهم في ضوء نصوص الشريعة أن لا يختلطوا في أي مكان أو يسدلوا ستارا بين الرجال والنساء عند مواقع الاختلاط؛ كي لا يرون شخوصهن، ولا يرين شخوصهم أم لا يجب عليهم شرعًا؟ وهل يجب على المرأة المسلمة أن تحتجب من الأجانب أم لا؟ فذهبوا في هذه المسألة إلى موقفين مختلفتين من الجواز وعدمه سلفًا وخلفًا.

فيودُّ الباحث أن يقوم بدراسة شاملة لهذه القضية، ويناقش آراء العلماء فيها، ويقارن بين أدلتهم كي يتبين منه الموقف الصحيح الموافق للقرآن والأحاديث الصحيحة وعمل الصحابة والصحابيات في عهد الرسالة.

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث مع استقرائه دراسةً شاملةً تختصُّ بموضوع ومحتوى هذا المقال، وتشتمل على دراسة متميزة لمواقف العلماء المتقدمين والمتأخرين التي ناقشها الباحث في الموضوع؛ لأنه -حسب استقصاء الباحث المتواضع- لم يتناوله السابقون من الباحثين في دراساتهم الموضوعية بصورةٍ مستقلةٍ ودراسة مقارنة. فلذلك من الصعب على الباحث أن يذكر دراساتٍ مستقلةً سابقةً عليه في الموضوع التي تقارن المواقف المختلفة في حكم الاختلاط، وتناقشها مع التحليل العلمي، ما عدا بعض ما بيَّنه أصحاب التفسير والحديث وشارحو الحديث وأهل العلم من

السلف والمعاصرين من اتجاهاتهم الخاصة في الموضوع متناثرةً في طي كتب التفاسير، أو مؤلفات متفرقة، أو مقالات وفتاوى مختلفة تتعلق بقضايا الموضوع. وسيقوم الباحث هنا باستعراض بعض ما يمكن اعتباره دراسات سابقة في الموضوع، وهي:

الاختلاط بين الجنسين: حقيقته وحكمه وضوابطه، للدكتور يوسف القرضاوي[1] وهو مقال بيَّن فيه القرضاوي اتجاهه في حكم الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء النصوص الشرعية، وهو جواز الاختلاط مع القيود الشرعية، ولكن لا توجد فيه دراسة مواقف الطرفين في القضية ومناقشة أدلتهما، كما اهتم الباحث في هذا المقال.

الاختلاط بين الجنسين مفهومه وحكمه وآثاره، لإبراهيم بن عبدالله الأزرق[2]، وهو كتاب قام فيه المؤلف بدراسة الموضوع، وركز فيه برأي التحريم ورجحانه فقط، ولم يتناول فيه موقف العلماء الآخرين الذي يجيز الاختلاط بشرط التزام بعض الآداب الشرعية.

فقد اتضح مما سبق من الكلام أن مثل هذه الدراسات في الموضوع ونتائجها متعارضة بعضها مع بعض، وهي تشهد بأن أصحابها أبرزوا اتجاهاتهم الخاصة وأثبتوها، فالباحث كما يقصد أن يستفيد من هذه الدراسات للوصول إلى الموقف الراجح في القضية، كذلك يودُّ أن يتناول في هذا المقال موقف الجصاص، وابن العربي، والقرطبي، الطبري، والزمخشري، والرازي، وابن الجوزي، والألوسي من المتقدمين، وكذلك موقف المفتي محمد عبده، والعلامة رشيد رضا، والعلامة ابن عاشور، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، والدكتور حسن عبد الله الترابي، والأستاذ جاويد أحمد غامدي من المعاصرين، فيتحقق من نتائج أفكار أصحاب المواقف،

---

[1]. انظر: الموقع الرسمي للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، <**الاختلاط بين الجنسين: حقيقته وحكمه وضوابطه** | موقع الشيخ يوسف القرضاوي>، شوهد في ١٧ ديسمبر، ٢٠٢٥.

[2]. انظر: موقع المسلم، الاختلاط بين الجنسين مفهومه وحكمه وآثاره، إبراهيم بن عبدالله الأزرق، <almoslim.net/documents/ekhtelat.pdf>.

ويناقشها بالمقارنة والتحليل.

منهج البحث

يعتمد الباحث في هذا المقال على المنهجين الآتيين، وهما:

١- المنهج المقارن: وذلك ليقارن به الباحث مواقف العلماء في القضية، ويوازن بينها من النواحي العلمية، ويرجح الراجحة منها بعد المناقشة التفصيلية.

٢- المنهج التحليلي: يستخدمه الباحث لتحليل آراء العلماء، ونقدها مع العناية بمعايير البحث العلمي المعتمدة.

تعريف "الاختلاط" و"الحجاب" لغةً واصطلاحًا

يتبين من كلام علماء اللغة أن لفظ "الاختلاط" يطلق لغةً على الامتزاج، والاجتماع، والمداخلة، والمجاورة، والاشتراك من الشريك[٣]. أما المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ حسب موضوع بحثنا هذا، فلم يقف الباحث على من وضع له تعريفًا جامعًا مانعًا من العلماء المتقدمين، غير أن بعض المعاصرين ذكروا له تعريفات بتعبيرات مختلفة[٤]. والمعنى الاصطلاحي المراد بـــ "الاختلاط" في هذا البحث، هو اجتماع الرجال والنساء غير المحارم في البيوت، ومجال العلم، أو العمل، بمختلف الوجوه، كالاختلاط في دور العلم، والحوانيت، والمكاتب، والمستشفيات، والمدارس، أو في أثناء الدراسة الجامعية، أو في ميدان العمل بالدوائر الرسمية، والمحلات التجارية، والشركات، والمعامل وغير ذلك.

وأما كلمة "الحجاب" فمعناها اللغوي في ضوء كلام أهل اللغة: الستر، وهو كل

---

[٣] انظر: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٧، ص٢٩١-٢٩٤؛ والفيومي أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت)، ج١، ص١٧٧؛ وسعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص١١٩.

[٤] انظر: ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، إشراف: محمد بن سعد الشويعر، (د.م، د.ط، د.ت)، ج١، ص٤٢٠؛ والقحطاني سعيد بن على بن وهف، إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب والتبرج، والسفور...، (الرياض: مطبعة سفير، د.ط، د.ت)، ص٥٢٩-٥٣٠.

ما حال بين شيئين من الثوب أو الجدار أو غيره[٥]. وأما معناها الاصطلاحي، فقال المناوي: "الحجاب كل ما ستر المطلوب، أو منع من الوصول إليه. ومنه قيل للستر: حجاب؛ لمنعه المشاهدة، وقيل للبواب: حاجب؛ لمنعه من الدخول. وأصله جسم حائل بين جسدين"[٦].

ومن المعلوم أن كلمة الحجاب قد استعملت في كتاب الله وبعض الأحاديث بمعنى الساتر أي الحاجز بين شيئَين، وقد يكون ذلك الحاجز مِن قُماش، أو جدارٍ، أو خشب، ولم تُستعمل فيهما بمعنى من معاني اللُّبْس أو اللباس، وهو المراد في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، ومن أمثلة إطلاق كلمة "الحجاب" على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، وكذلك قوله تعالى عن مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم:١٧]، وقوله تعالى عن النبي سليمان: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢]، وكذلك وردت في بعض الأحاديث بمثل هذا المعنى، فالحجاب ليس لباسًا يلبسه أحد، إنما هو ساترٌ بين شيئين، وقد يستعمل في اللغة على حاجز بين رجالٍ ورجالٍ؛ كما جاء في حديث عن أنس في قصةِ وفاة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: "فأومأ النبي صلى الله عليه وسلم، بيده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى النبي صلى الله عليه وسلم، الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات"[٧].

مواقف العلماء من حكم اختلاط الرجال والنساء مع أدلتهم

إن للعلماء في هذه المسألة موقفين نذكرهما مع الأدلة على النحو الآتي:

---

[٥] انظر: أبو زيد بكر بن عبد الله، حراسة الفضيلة، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط١١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص٢٦.

[٦] المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص١٣٦.

[٧] البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ج١، ص١٣٧، رقم٦٨١.

الموقف الأول وأدلته: ذهب بعض العلماء إلى أنه على الرغم من توجيه الخطاب في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، واختصاصِه بهن وفق سياق الآية، المرادُ بالحكم جميع نساء المسلمين، وهن داخلات فيه بالمعنى؛ إذ كان المسلمون مأمورين باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به، إلا ما خصه الله به دون أمته، فبناءً على ذلك الاحتجابُ من الرجال الأجانب، وعدم الاجتماع بهم مطلوب شرعًا من عامة النساء المسلمات أيضًا، فلا يجوز لهن أن يلقين الأجانب وجهًا لوجهٍ، أو يختلطن بهم في مكان. وإذا خرجن من البيوت عليهن ستر أبدانهن كلهن مع تغطية وجوههن وأيديهن، كما يقتضيه حكم آية الحجاب هذا، وهو موقف الجصاص،[٨] وابن العربي[٩]، والقرطبي[١٠] من المتقدمين. وأخذ بهذا الموقف من المعاصرين الأستاذ المودودي[١١]. وأما الآخرون من العلماء المتقدمين والمتخصصين في التفسير وأحكام القرآن مثل الطبري، والزمخشري، والرازي، وابن الجوزي، والألوسي، فهم سكتوا عن الكلام في هذه المسألة عند تفسيرهم لهذه الآيات، ولم يصرحوا باختيار أو رد ما ذهب إليه هؤلاء العلماء الثلاثة من تعميم الحكم إلى عامة المسلمات.

أما أدلة هذا الموقف، فنعرضها هنا على النحو الآتي:

---

[٨] انظر: الجصاص أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج٣، ص٤٨٣.

[٩] انظر: ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي، **أحكام القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٣، ص٦١٦.

[١٠] القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١٤، ص٢٢٧.

[١١] انظر: المودودي السيد أبو الأعلى، **تفهيم القرآن**، (لاهور: إدارة ترجمان القرآن، ط٥، ١٩٨٥م)، ج٤، ص١٢١.

١- إن المسلمين مأمورون باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به إلا ما خصه الله به دون أمته، قاله الجصاص[١٢].

٢- كانت الأستار قد أسدلت على أبواب بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرخيت كذلك في بيوت المسلمين؛ لما كان بيت النبي صلى الله عليه وسلم أنموذجًا وأسوةً حسنةً لجميعهم، قاله الأستاذ المودودي[١٣].

٣- علل الله حكم الاحتجاب هنا بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، لأن نظر بعضهم إلى بعض ربما يسبب الميل والشهوة، فقطعهما الله بتشريع الحجاب أي الستار، قاله الجصاص[١٤].

٤- إن قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، يشير بذاته إلى أن من يبتغون من الناس أن تبقى قلوب رجالهم ونسائهم في المجتمع نظيفةً وطاهرةً، فعليهم أن يعملوا بهذا الحكم الرباني، يعني هو يدل على تعميم ما اشتملت عليه الآية من حكم ضرب الحجاب إلى عامة المسلمين، بينه الأستاذ المودودي[١٥].

٥- يتضح لمن أنعم الله عليه بالبصر أن الكتاب الذي ينهى عن الحديث بين الرجال والنساء بلا ستر وجهًا لوجهٍ، ويوضِّح أن المصلحة في حكم الكلام من خلف الستار هي طهارة قلوب الرجال والنساء، لا يمكن أن يستنبط منه حكم إباحة الاختلاط بين الجنسين في ميادين العمل المختلفة بلا تكلف، ويرى أنه لا يؤثر في طهارة قلوبهم ومشاعرهم، بينه الأستاذ المودودي[١٦].

٦- إن كثيرًا من الأحكام الواردة في الأحاديث تدل على أن المجالس المختلطة من الرجال والنساء لا تجوز للمسلمين، وهي على النحو الآتي:

الأول: أعفى الرسول صلى الله عليه وسلم النساء عن وجوب الجمعة، وعن

---

[١٢] انظر: الجصاص، **أحكام القرآن**، ج٣، ص٤٨٣.

[١٣] انظر: المودودي، **تفهيم القرآن**، ج٤، ص١٢١.

[١٤] انظر: الجصاص، **أحكام القرآن**، ج٣، ص٤٨٣.

[١٥] انظر: المودودي، **تفهيم القرآن**، ج٤، ص١٢١.

[١٦] انظر: المودودي، **تفهيم القرآن**، ج٤، ص١٢١.

الصلاة بالجماعة في المسجد،[١٧] على الرغم من أهميتهما وفضلهما.

الثاني: صرّح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن صلاتهن في البيوت خير من صلاتهن في المساجد مع بيان الإذن لهن في حضور الصلاة في المساجد إذا أردن[١٨].

الثالث: عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن»[١٩].

الرابع: قالت عائشة عندما رأت ما عليه النساء في عهد بني أمية: "لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل"[٢٠].

---

[١٧] انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **السنن**، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، كتاب الصلاة، في تفريع أبواب الجمعة، باب الجمعة للمملوك والمرأة، ج٢، ص٢٩٥، رقم١٠٦٧. وقال محققاه: "إسناده صحيح. طارق بن شهاب اتفق على أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن اختلف هل سمع منه أم لا؟ وعلى تقدير أنه لم يسمع منه تكون روايته مرسل صحابي، وهو حجة بالإجماع إلا من شذ، كما قال ابن الملقن في "البدر المنير" ٤ /٦٣٨ - ٦٣٩، وصحح حديثه".

[١٨] انظر: المرجع نفسه، كتاب الصلاة، في تفريع أبواب الجمعة، باب في خروج النساء إلى المسجد، ج١، ص٤٢٤، رقم٥٦٧. وقال محققاه: "إسناده صحيح".

[١٩] أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٤٤، ص١٦٤-١٦٥، رقم٢٦٥٤٢. وقال المحققون: "حديث حسن بشواهده، رشدين - وهو ابن سعد، وإن كان ضعيفًا- قد توبع، والسائب مولى أم سلمة، ترجم له الحافظ في "التعجيل" ولم يذكر في الرواة عنه سوى أبي السمح دراج، ولم يؤثر توثيقة عن غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح، غير أبي السمح دراج بن سمعان، وهو صدوق".

[٢٠] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، ج١، ص١٧٣، رقم٨٦٩.

الخامس: كان في المسجد النبوي باب مخصوص للنساء،[٢١] وكان عمر في عهده ينهى أن يدخل الرجال من هذا الباب[٢٢].

السادس: كانت صفوف النساء خلف صفوف الرجال، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»[٢٣].

السابع: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة مكث قليلًا، وكانوا يرون أن ذلك كيما تخرج النساء قبل الرجال[٢٤].

الثامن: كانت النساء يحضرن صلاة العيد، ولكن كان مكانهن في المصلى على حدة من مكان الرجال، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من خطبة الرجال، يأتي النساء فيذكرهن[٢٥].

التاسع: عن أبي أُسيد الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: «استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق»، قال: فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن

---

[٢١] انظر: أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب التشديد في خروج النساء إلى المسجد، ج١، ص٤٢٧، رقم٥٧١. وقال محققاه: "رجاله ثقات، إلا أن عبد الوارث -وهو ابن سعيد العنبري- قد خولف في رفعه كما سلف بيانه برقم (٤٦٢)، ورجح المصنف -يعني أبو داود- الوقف".

[٢٢] انظر: المرجع نفسه، كتاب الصلاة، باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال، ج١، ص٣٤٨، رقم٤٦٤. وقال محققاه: "رجاله ثقات".

[٢٣] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، عن أبي هريرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب الصلاة، باب خير الصفوف، ج١، ص٣٢٦، رقم٤٤٠.

[٢٤] انظر: أحمد، **المسند**، ج٤٤، ص٢٥٣، رقم٢٦٦٤٤. وقال المحققون: "إسناده صحيح على شرط البخاري، هند بنت الحارث روى لها البخاري هذا الحديث، وقد سلف الكلام عليها في الرواية (٢٦٥٤١)، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين".

[٢٥] انظر: مسلم، الجامع الصحيح، كتاب صلاة العيدين، ج٢، ص٦٠٣، رقم٨٨٥.

ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[٢٦].

فليلاحظ أن الدين الذي لا يسمح باختلاط الجنسين حتى عند العبادة في المساجد، هل لأحد أن يتصور عنه أنه يبيح الاختلاط بينهما في الكليات، والمكاتب، والمجالس، والنوادي؟

ذكر هذه المستدلات الأستاذ المودودي[٢٧].

الموقف الثاني وأدلته: إن حكم آية الحجاب الذي يمنع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من لقاء الرجال الأجانب، والاختلاط بهم في مكان دون ستار، ويأمرهن بالابتعاد بشخوصهن تمامًا عن أبصارهم خاصٌّ بهن، ويحصر عليهن، كما يصرّح به الخطاب القرآني، وهو يتبين من تعليل الحكم في سياق الآية. ويتحقق كذلك من الروايات الصحيحة الواردة في سبب نزول هذا الحكم أنه إنما نزل لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في ظروف معينة لهن خاصةً، يعنى هو نزل صيانة لهن من شرور المنافقين وكيودهم ضد أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يمكن تعميمها إلى سائر النساء المسلمات، ولذلك لم يكن على حجب عامة النساء والعزل بين الرجال والنساء العملُ عند عامة المسلمين في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد خلفائه الراشدين؛ فلذا لا يجب على عامة النساء في الشريعة أن يحجبن شخوصهن من الأجانب، ولا يطالبن بالتحجب الكامل في ملابسهن كما فُرض ذلك على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، بل يجوز لهن شرعًا اجتماع الرجال والنساء، والتقاءهم لأغراض الخير العامة في جماعة بدون ستار مسدل بينهم، مع رعاية الأحكام المشروعة لهم في سورة النور، أما الخلوة بين رجل وامرأة أجنبيين، فهي لا تجوز لما نهى عنها الرسول

---

[٢٦] أبو داود، السنن، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق، ج٧، ص٥٤٣، رقم٥٢٧٢. وقال محققاه: "إسناده ضعيف لجهالة شداد بن أبي عمرو وأبي اليمان -وهو كثير الرحال-".

[٢٧] انظر: المودودي، تفهيم القرآن، ج٣، ص٣٩٥-٣٩٦.

صلى الله عليه وسلم ،[٢٨] وهو موقف المفتي محمد عبده[٢٩]، والعلامة رشيد رضا[٣٠]، والعلامة ابن عاشور[٣١]، والدكتور حسن عبد الله الترابي[٣٢]، والأستاذ جاويد أحمد غامدي[٣٣] من المعاصرين، وقد نص على خصوصية حكم آية الحجاب بنساء النبي صلى الله عليه وسلم غيرُ واحد من العلماء والفقهاء المتقدمين كالإمام أحمد، وأبي داود، وابن قتيبة، والقاضي عياض، والمهلب، وابن بطال، وابن جزي الكلبي[٣٤].

أما أدلة هذا الموقف، فنقدمها لكم هنا على النحو الآتي:

١- لما أن وجه المرأة وكفيها ليسا من عورتها، فسترهما ليس بواجب عليها في الشريعة كما قال به جمهور العلماء والفقهاء سلفًا وخلفًا استدلالًا من النصوص القرآنية والحديثية، فبناءً على ذلك النظرُ من كل من الرجل والمرأة إلى

---

[٢٨] انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، ج٧، ص٣٧، رقم٥٢٣٣.

[٢٩] انظر: محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٢، ص١١٢-١١٣.

[٣٠] انظر: محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص١٤١-١٤٤، وص١٨٢-١٨٥.

[٣١] انظر: ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ)، ج٢٢، ص٩٢.

[٣٢] انظر: حسن عبد الله الترابي، المرأة بين الأصول والتقاليد، (الخرطوم: مركز دراسات المرأة، د.ط، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٧-١٥.

[٣٣] انظر: غامدي جاوَيد أحمد، **ميزان** (في بيان الإسلام)، (لاهور: المورد-معهد العلم الإسلامي والبحث فيه، ط١١، ٢٠١٦م)، كتاب شريعة الاجتماع، باب أحكام الاختلاط بين الرجال والنساء، ص٤٧٤-٤٧٦.

[٣٤] انظر: أبو شقة عبد الحليم محمد أحمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة، (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٦ه)، ج٣، ص١١٠-١١١.

ما عدا العورات مباح إذا كان بدون شهوة، ويتحقق به أن حكم آية الحجاب لم يشرع لعامة نساء المسلمين، بينه العلامة رشيد رضا[٣٥].

٢- إن آية الحجاب هذه قد نزلت في ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، ولم يتأثر به وضع عامة نساء المسلمات من كرائم الصحابيات، ولم يطالبن بامتثال هذا الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدين، ولم يمتثلنه أنفسهن، وهذا لما ليس عليه دليل ولا شاهد في مصادر الحديث والآثار والتاريخ، قاله حسن الترابي[٣٦].

٣- إن ما قررته آية الحجاب، وحكمت به من أن لا تَظهر زوجة من أزواج النبي أمام الرجال الأجانب ولو بوجهها وكفيها فقط، يدل أيضًا على أنه مما يجوز بالطبع لعامة النساء المسلمات، بينه الدكتور الترابي[٣٧].

٤- لا يمكن لقائل أن يقول بجريان القاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" في هذه الآية؛ لأن لفظ آية الحجاب خاص ليس بعام، قاله العلامة رشيد رضا[٣٨].

٥- إن كل تصرفات عامة النساء لم تكن في عصر الرسالة من وراء حجاب على الرغم من نزول آية الحجاب، وعلى العكس مما كانت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تمتثل حكم هذه الآية بعد نزولها، وهذا أيضًا يشهد بخصوصية هذا الحكم بهن. وأما شواهد ما كان عليه عمل عامة النساء المؤمنات يجري في عصر النبوة، وعصر خلفائه الراشدين، فهي على النحو الآتي:

الأول: اتفق المسلمون على مشروعية صلاة النساء في المساجد مع كشف وجوههن وأكفهن.

الثاني: وأجمعوا كذلك على إحرامهن بالحج والعمرة مكشوفات الوجوه والأكف.

---

[٣٥] انظر: رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، ص١٨٢-١٨٥.

[٣٦] انظر: حسن الترابي، **المرأة بين الأصول والتقاليد**، ص١٥.

[٣٧] انظر: حسن الترابي، **المرأة بين الأصول والتقاليد**، ص١٤.

[٣٨] انظر: رشيد رضا، **حقوق النساء في الإسلام**، ص١٨٤.

الثالث: كانت النساء يصلين في الجماعة وراء الرجال.

الرابع:كن يسافرن للحج والعمرة مع الرجال محرمات بدون تغطية وجوههن وأكفهن، وكذلك كن يطفن بالبيت على مشهد من الرجال، ويقفن يوم عرفة في عرفات، ويرمين الجمار على مرأى من الرجال.

الخامس: وكذا كن يخدمن الضيوف في بيوتهن.

السادس: كن يسافرن للجهاد مع الرجال، ويخدمن الجرحى، ويسقينهم الماء، ومنهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنفسهن، ويشاركن مع الرجال في القتال أيضًا.

السابع: كن كذلك يقاضين الرجال إلى القضاة والحكام.

الثامن: صحَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث الرجل الذي يريد خطبة امرأة ويأمره أن ينظر إليها، ولو بدون علمها مع النهي عن التجسس على المرأة والتطلع إلى عورتها.

التاسع: أجمع المسلمون على جواز شهادة النساء لنص كتاب الله عليه، وأمره باستشهادهن.

العاشر: اتفقوا على صحة بيع المرأة وشرائها، وسائر تصرفاتها فيما تملك.

الحادي عشر: أجمعوا كذلك على جواز تلقي المرأة العلم عن الرجال، وكذا حكم تلقيهم عنها.

الثاني عشر: إن راويات الحديث كثيرة من نساء الصحابة والتابعين، ومن تبعتهن من النساء بعدها على الرغم من أنهن قليلات، وأسماؤهن مكتوبة في كتب التاريخ والرجال، ولم يكن أى شيء من ذلك من وراء حجاب لعامة نساء المسلمين في تلك القرون.

الثالث عشر: ثبت على عدم وجوب تغطية الوجه حديث المرأة الخثعمية، ونظرها إلى الفضل بن العباس، ونظره إليها،[٣٩] وفيه دلالة واضحة على جواز النظر عند أمن الفتنة وبدون الشهوة لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يراها

---

[٣٩] انظر: أحمد بن حنبل، **المسند**، ج٥، ص٣٧٠، رقم٣٣٧٥. قال محققوه: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

في الوقت نفسه.

إن كل هذه المستدلات التي ذكرها العلامة رشيد رضا تشهد بأن حكم آية الحجاب خاص بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم كما يصرّح به النص القرآني نفسه، وليس لعامة النساء فيه حكم ولا أسوة، وهكذا فهمه الصحابة ونساؤهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الأستار ضربت على كرائم الصحابيات كما لم ينهين عن الخروج من بيوتهن لحوائجهن المتنوعة، ولم يحظر عليهن من حضور مواقع الاختلاط قط[٤٠].

٦- نظرًا لأن آية الحجاب تأمر الرجال الأجانب بأن يتحدثوا مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب، وتحكم بحرمة زواج نسائه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، ولما كانت الظروف التي نزلت فيها آية الحجاب خاصة، يتبين منه ويتحقق أن حكم الاحتجاب واضح الحصر على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يمكن تعميمه إلى سائر نساء المسلمين لما كان بيت النبي صلى الله عليه وسلم محور الدعوة، ومركز الدولة، وكان كذلك مزار شتى الناس مما قد يجرح أهل بيته خاصَّةً، وتثبت تلك الأوضاع المعينة -بالإضافة إلى الحصر المذكور- بعدة روايات صحيحة جاءت فيها صراحةً أن آية الحجاب نزلت تصديقًا باقتراح معين من سيدنا عمر في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم خاصة فلا يمكن تعميم الحكم نظرًا إليها أيضًا؛ لأن عمر بن الخطاب كان يتمنى ذلك لهن خاصة لسبب بيّنه نفسه، وطلبه من النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية، ولم يكن قصده أن يُحجب سائر نساء المسلمين، ولم يتكلم فيه قط[٤١]، بيَّنه الدكتور حسن الترابي[٤٢].

٧- إن ضرب الحجاب على امرأة كان علامة معروفة في المجتمع النبوي على أنها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات، ثم هو لم يضرب فعلًا على

---

[٤٠] انظر: رشيد رضا، **حقوق النساء في الإسلام**، ص١٨٢-١٨٥.

[٤١] انظر: أحمد بن حنبل، **المسند**، ج١، ص٢٩٧، رقم١٥٧. قال محققوه: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

[٤٢] انظر: حسن الترابي، **المرأة بين الأصول والتقاليد**، ص١٤.

غير نساء النبي صلى الله عليه وسلم في عهده كما تشهد به الروايات، فكيف يقال بتعميم هذا الحكم إلى عامة النساء، قاله الدكتور الترابي[٤٣].

٨- أما الاختلاط فلم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم شيء يختص للرجال سوى أمور من تكاليف الحياة العامة تجب عليهم وتجوز للنساء أن يفعلنها كالنفقة على الأسرة، وإقامة صلاة الجماعة، والنفير إلى القتال، يعني لم يكن يجب عليهن أن يمتثلن شيئًا من هذه الأوامر، ولكن ليس معناه أن مشاركة المرأة في هذه الشؤون غير جائزة، بل لها أن تشارك في كل من هذه الشؤون إذا أرادت على الرغم من توافر الرجال، ولا يجوز لأحد أن يمنعها من أي عمل صالح في الحياة العامة، ولذلك كان العمل عليه عند نساء المسلمين في خير القرون كما يشهد به كثير من الروايات الثابتة، ومن ذلك ما كانت النساء يشهدن صلوات الجماعة كلها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الفجر والعشاء على الرغم من أنه لم يجب عليهن.

٩- لما أن صلاة الرجال والنساء كانت مشتركة في عصر النبوة، وكانوا جميعًا يجتمعون لها في المسجد كما يختلطون جميعًا في مناسك الحج والعمرة على الرغم من الازدحام الكبير عند أدائها، فهو أيضًا يدل على أن الحياة العامة ليست مسرحًا للرجال وحدهم في الشرع، ويشهد كذلك بنفى العزل بين الرجال والنساء في مجال جامع.

١٠- حاول بعض الولاة باجتهاد منهم تفريق الرجال والنساء في الطواف، ولكن أهل السنة كانوا يعترضون على تبديل ما كان عليه الأمر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فثبتت السنة، وزال التبديل. منع محمد بن هشام والي مكة طواف النساء مع الرجال، فقال عطاء: كيف تمنعهن وقد طاف نساء النبي مع الرجال؟ وكان ذلك بعد الحجاب سوى أنهن كن يتجافين عن الرجال، ويختلط سائر النساء ويستلمن رغم الزحام[٤٤]".

---

[٤٣] انظر: حسن الترابي، **المرأة بين الأصول والتقاليد**، ص١٥.

[٤٤] انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الحج، باب طواف النساء مع الرجال، ج٢، ص١٥٢، رقم١٦١٨.

١١- إن كرائم الصحابيات كن يخرجن -في عصر الرسالة- للصلاة في المساجد مثل الرجال، ويخرجن للجمعة والأعياد كما كن يخرج لحوائجهن الأخرى، وأمرهن النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجن للعيدين حتى غير المصليات ليشهدن الخير، ودعوة المسلمين، وهو يدل صراحة على أن للنساء شهود مجتمعات المسلمين ومهرجاناتهم العامة. وكانت مجالس علم النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه مشتركة للرجال والنساء جميعًا، ولم يكن العزل بينهم فيها أيضًا كما صحت به الروايات. وكن يشهدن المغازي حتى يشاركن في القتال ذاته، وكذلك يعبرن عن آرائهن بالحرية، ويجادلن بها بين أيدي الرجال، ويشاركن في شؤون الأسرة بالعون على المعاش، ويستقبلن كذلك ضيوف الأسرة، ويحدّثنهم، ويخدمنهم، فلم يكن عزلًا بين الرجال والنساء في ذلك العهد[٤٥]، بل الاختلاط بينهم بمراعاة الآداب الشرعية العامة كان معروفًا عند المسلمين حينذاك. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يزور بعض النساء، ويعودهن، ويأكل عندهن، ويصلي في بيوتهن كما ثبتت في ذلك أحاديث نبوية، حتى ثبتت من فعله صلى الله عليه وسلم زيارة بعض الأسر بغير انفصال. وكان الرجل يسلم على المرأة، ويكلمها بقصد ولفظ طاهر كما صح ذلك عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وتشهد كذلك بعض الأحاديث بجواز مجالس الأسر في البيوت وخارجها، وبإباحة أكلهم الطعام مجتمعين رجالًا ونساءً مع رعاية الأحكام المشروعة. كل هذه الأدلة التي ذكرها الباحث آنفًا عن جواز الاختلاط فصلها الدكتور حسن الترابي[٤٦].

١٢- إن شريعة الإسلام خولت للمرأة المسلمة ما لرجال المسلمين من الحقوق، وألقت عليها كذلك أن تتبع أعمالها مدنية كانت، أو جنائية، أو غيرها، وبالإضافة إلى ذلك لها الحق شرعًا في أن تدير أعمالها، وأن تتصرف في أموالها بنفسها. وبناءً على ذلك أن الاحتجاب من الرجال، وعدم مخالطتهم، والتحجب

---

[٤٥] ومن ذلك كان ضيف إبراهيم المكرمين، حينما عرض عليهم الطعام، كانت زوجته قائمة تضحك إذا بشرت بالولد، وتصك وجهها، وتعجبت من بشرى ولد لشيخ وعجوز عقيم. انظر: [هود:٦٩-٧٣، والذاريات:٢٣-٣٠].

[٤٦] انظر: حسن الترابي، **المرأة بين الأصول والتقاليد**، ص٧-١٥.

الكامل الذي لم توجبه الشريعة على المرأة المسلمة، يتنافى مع أعمالها اليومية في ميادين المعاملات المختلفة، ولو ألزمناه عليها بدون دليل ثابت من الشريعة، فهو يعوقها عن معاملة الناس مباشرة، فكيف يتعاقد معها الرجال من غير أن يروها ويتحققوا من شخصيتها؟ وكذلك كيف هي تتصرف في أعمالها اليومية وهي وراء حجاب؟ لأنه قد يوقعها ذلك في حرج شديد، وكذا يوقع المتعاملَ معها في مأزق لا يستطيع دفعه، فليلاحظ أن هناك مضار للمرأة المسلمة وعوائق في احتجابها وتحجبها الكامل، وهي تنافي مصالح المرأة المسلمة نفسها، أو مصالح من يعاملها، فلا ينبغي للمسلمين أن يجعلوا الغلو فيما فيه تضييق وتشديد أو تعطيل لشيء من مصالح الحياة، بينه المفتي محمد عبده[٤٧].

١٣- إن أحكام آية الحجاب وسياقها تنطوي على آداب خاصة للدخول في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ، والمكث فيها، ومنع الناس من مخالطة نسائهن بضرب الستار عليهن، ونهي الناس عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيان حرمة أزواجه على جميع الناس بعد وفاته، وبيان الإباحة لدخول المحارم عليهن ومن في حكمهم. إنما نزلت كل هذه الأحكام في سلسلة الأحكام السابقة التي نزلت أيضًا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نفسها، وهي كانت مشتملة على النهي عن الخضوع في الكلام مع الأجانب، والأمر ملازمة البيوت، والنهي عن التبرج، والاهتمام الخاص بالصلاة، والزكاة، وطاعة الله ورسوله، والقيام بتبليغ آيات الله والحكمة. فعندما تبين أن المنافقين الأشرار لا ينتهون من شرورهم وكيدهم ضد أهل بيت الرسول بعد نزول تلك الأحكام، حتى تمنى بعض المنافقين وتحدث في نكاح بعض أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشدد الله في الأمر بإنزال هذه الأحكام المزيدة ههنا ليحمي بها أهل بيت رسوله صلى الله عليه وسلم من كل ما أرادوا من الشر والسوء، ورفع النقاب عن وجوه أولئك المنافقين الأشرار بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيمًا. إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ

---

[٤٧] انظر: محمد عمارة، **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده**، ج٢، ص١٠٧-١٠٩.

عَلِيمًا﴾، وبين أن هذه الأحكام لم تنزل إلا مراقبةً لشرورهم ومكائدهم؛ لأن أولئك هم الذين كانوا يبتغون إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتمنون نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم ليجدوا سبيلًا لإثارة الفتنة في الناس عداوة لله ورسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا كان لا يتصور من مؤمن صادق قطعًا. فبناءً على هذا التفصيل للأحكام وعلتها ومناسبتها مع الأحكام السابقة مع صراحة النصوص المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه لا يمكن لأحد أن يعمم حكمًا واحدًا من هذه الأحكام المربوطة -يعني حكم الاحتجاب وعدم الاختلاط بالرجال- إلى عامة نساء المسلمين، بينه الأستاذ جاوَيد غامدي[٤٨].

[٤٨] انظر: غامدي جاوَيد أحمد، **البيان** (في تفسير القرآن)، لاهور: المورد- معهد العلم الإسلامي، ط١، ٢٠١٦م) ج٤، ص١٥٧-١٦٠.

في باب التذكير

الإعداد: الأستاذ عثمان فاروق

استقبال شهر رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

إن الله سبحانه وتعالى منّ على عباده في هذه الحياة القصيرة بمواسم عظيمة تتضاعف فيها الأجور، وترفع بها الدرجات، وجعل فيها فرصًا ثمينة للتقرب إليه، وجبر ما فات من تقصير. ومن أعظم هذه المواسم وأجلّها شهر رمضان المبارك، الذي تفيض فيه الطاعات، وتتنوّع فيه أبواب الخير، وتتهيأ النفوس للإقبال على الله بالعبادة والإنابة.

وقد اختصّ الله تعالى شهر رمضان بفضائل عظيمة وخصائص جليلة؛ فهو شهر نزول القرآن، وشهر الجود والإحسان، وموسم التوبة والمغفرة والعتق من النيران. وفيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفّد الشياطين، كما شرّفه الله بليلة مباركة هي خير من ألف شهر، فكان رمضان مدرسة إيمانية متكاملة، وميدانًا عظيمًا للتزود بالتقوى والعمل الصالح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة."[1]

مرحبًا بالمطهّر!

بعد أيام قليلة، سيأتي شهر رمضان ليمنح القلوب الصفاء، والنفوس النور،

والضمائر النقاء، بعدما أرهقتها مشاغل الحياة ومتاعب الدنيا. فيأتي رمضان ليعيد لها الحياة، ويوقظها من الغفلة. كان سلفنا الصالح يتمنون بلوغ رمضان، ويستقبلونه بفرح وشوق، ويعتبرونه فرصة عظيمة للتوبة والطاعة. وكانوا يهنؤن بعضهم البعض عند قدوم رمضان قائلين:

"مرحبًا بالمطهّر"

لأن رمضان يطهّر القلوب، وينقي النفوس، ويمحو الذنوب.

رمضان في حياة رسول الله ﷺ

رمضان شهر مليء بالخيرات والبركات، اختصه الله بفضائل عظيمة، منها أنه الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم، كما قال الله تعالى:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ [٢]

وكان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، فقد قال:

"أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم." [٣]

وقد صام النبي ﷺ رمضان تسع سنوات، حيث فُرض الصيام في شعبان من السنة الثانية للهجرة، وظل يصومه حتى وفاته في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة. وكان رمضان عند النبي ﷺ مختلفًا عن باقي الشهور، فقد كان يجتهد فيه بالعبادة والطاعة أكثر من أي وقت آخر، رغم أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه كان أعظم الناس عبادة واجتهادًا، لما في رمضان من فضل كبير وكرم إلهي عظيم. كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وقد أثنى الله تعالى عليه بقوله:

﴿وإنّك لعلى خلق عظيم﴾ [٤]

وقد حذّر النبي ﷺ من سوء الأخلاق بوجه عام، وأكّد على ضرورة التحلّي بحسن الخلق على وجه الخصوص في شهر رمضان؛ إذ إن الصيام ليس امتناعًا عن الطعام والشراب فحسب، بل هو تهذيب للنفس وضبطٌ للسلوك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"الصيام جُنّة، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، إني صائم." [٥]

كما بيّن النبي ﷺ أن الصيام الحقيقي لا يكتمل إلا بترك القول السيئ والعمل الباطل، فقال:

"من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه." [٦]

كان رسول الله ﷺ شديد الكرم في رمضان، فكان يضاعف صدقاته على الفقراء والمساكين أكثر من أي وقت آخر. وقد وصفه الصحابة رضي الله عنهم في عطائه خلال رمضان بأنه كالريح المرسلة، دلالة على كثرة إنفاقه وسرعته في مواساة المحتاجين في هذا الشهر المبارك. كان النبي ﷺ يكرّس وقته في رمضان لتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والصدقة، والصيام، وكان يقلل من طعامه، منشغلًا بالعبادة والتقرب إلى الله.

كان النبي ﷺ أحسن الناس معاملة، ويتضاعف ذلك في رمضان. كان أجود بالخير من الريح المرسلة، يعفو عن المسيئين، ويتعامل بلين ورفق. حث على إطعام الطعام وفطر الصائمين، وكان متواضعًا، صبورًا، وحسن الخلق، يوصي بعدم الرد على الإساءة أثناء الصيام.

خصوصية شهر رمضان مع القرآن

عند الحديث عن رمضان، يركز الكثيرون على كونه شهر الصيام والامتناع عن الطعام والشراب، لكن الله عرّفه بشيء أعظم، وهو أنه شهر نزول القرآن. فقد جعله الله ظرفًا زمانيًا لاستقبال أعظم هدية للبشرية، وهي القرآن الكريم، الذي لا يضاهيه أي عطاء آخر. لذلك، يتميز رمضان بعلاقة خاصة مع القرآن، حيث ينبغي أن يكون حاضرًا بقوة في هذا الشهر المبارك. فكما أن المسلم مدعو للارتباط بالقرآن طوال حياته، فإن رمضان فرصة عظيمة لتعزيز هذه المصاحبة. وقد كان النبي ﷺ يراجع القرآن مع جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان، كما ورد في حديث سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنه. وفي السنة الأخيرة من عمره، عارضه جبريل القرآن مرتين، فأخبر النبي ﷺ ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بذلك، مشيرًا إلى قرب أجله، فبكت. ثم أخبرها بأنها

ستكون أول أهله لحوقًا به، ففرحت، وتوفيت بعده بستة أشهر. يظهر هذا الحديث مدى أهمية القرآن في رمضان، حيث كان النبي ﷺ يحرص على مراجعته وتلاوته، مما يجعل هذا الشهر فرصة عظيمة لمضاعفة الاهتمام بالقرآن.كان الإمام مالك عليه الرحمة إذا دخل رمضان يترك تدريس الحديث ومجالسة العلماء، ويتفرغ لقراءة القرآن. وكان سلفنا الصالح يقولون:

"رمضان هو شهر قراءة القرآن وإطعام الطعام."

لذلك، ينبغي للمسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ، فيحرص على تلاوة القرآن في هذا الشهر المبارك.

قيام الليل والاعتكاف

قيام الليل في رمضان من العبادات العظيمة التي أكد عليها النبي ﷺ، حيث قال:

"من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه." [٧]

كان النبي ﷺ يصلي إحدى عشرة ركعة في قيام الليل، ويطيل فيها القراءة.

ويستحب الاعتكاف في رمضان وفي غيره من أيام السنة، لكنه يكون أكثر فضلًا في رمضان، فقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من هذا الشهر المبارك حتى وفاته. وكان أحد أسباب اعتكافه ﷺ تحري ليلة القدر، حيث قالت عائشة رضي الله عنها:

"كان رسول الله ﷺ يقول : تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان." [٨]

وهذه الليلة عظيمة، فقد جعل الله العمل فيها خيرًا من عمل ألف شهر، كما قال تعالى:

﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [٩]

ختامًا، ينبغي لنا أن ندرك مكانة شهر رمضان ونعطيه حقه، فنغتنم أيامه ولياليه بالعبادة والطاعة، لعلنا ننال رضا الله وسعادتي الدنيا والآخرة. وما أحوجنا إلى الاقتداء بنبينا ﷺ في عبادته وسيرته، فإن لم نبلغ منزلته، فعلينا أن نجتهد ونسير على هديه، لأن النجاة في اتباعه، والفلاح في الاقتداء به. وقد قال الله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر

وذكر الله كثيرًا﴾[10]

مما يؤكّد أن اتباعه هو الطريق إلى الخير والنجاح.

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في شعبان، وأن يبلّغنا شهر رمضان، وأن يوفّقنا فيه للصيام والقيام وتلاوة القرآن، وأن يجعلنا من الذين يحسنون اغتنام أيامه ولياليه، ويقضونه على هدي رسوله ﷺ في الطاعة والعبادة وحسن الخلق. آمين

المصادر:

١- أخرجه الترمذي، رقم: ٦٨٢، وابن ماجه، رقم: ١٦٤٢

٢- البقرة: ١٨٥

٣- رواه أحمد، رقم: ٧١٤٨ والنسائي، رقم: ٢١٠٦

٤- القلم: ٤

٥- رواه البخاري، رقم: ١٨٩٤، ومسلم، رقم: ١١٥١

٦- أخرجه البخاري، رقم: ١٩٠٣، وأبو داود، رقم: ٢٣٦٢

٧- رواه البخاري، رقم: ٣٧ ومسلم، رقم: ٧٥٩

٨- رواه البخاري، رقم: ٢٠٢٠

٩- القدر : ٣

١٠- الأحزاب: ٢١

بقلم: نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: أ. عثمان فاروق

حياة أمين

سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر القرآن"، هذه صفحات
من سيرته بقلم كاتبها نعيم أحمد بلوش]

(١٢)

رغم أن مجلة "الإصلاح" كانت مجلة علمية بامتياز ومختلفة عن السائد في مجالات الصحافة العامة، إلا أنها لم تحظَ بالشعبية المرجوة بين عامة الناس. ومن ثم، اقترح بعض الأصدقاء على الشيخ الإصلاحي أن يدرج في المجلة موضوعات تجذب اهتمام القراء العاديين، إلا أنه رفض إجراء أي تعديل على أهداف المجلة المنشودة. وفي سياق الحديث عن هذا الطرح، أشار إلى ذلك في إحدى ملاحظاته، وجوابه كان على النحو التالي:

> "إن الناس في الغالب لا يقدرون الأهمية العلمية والدينية لمجلة "الإصلاح"، وهم يفتّشون عن متعة الروايات والقصص. وبما أن هذه الملذّات غير موجودة في المجلة، فإنهم لا يودّون أن يبددوا أموالهم عليها. ولو تم الانصياع لرغبات الجمهور، ربما توسع نطاق انتشار المجلة، لكن هذا الأمر يتجاوز فهمنا. ونحن لسنا غافلين عن النتائج المحتملة، غير أننا نعتمد كل الاعتماد على عون الله وتوفيقه." (مايو ١٩٣٧م)

على الرغم من أن المجلة لم تكن تحظى بشعبية واسعة بين العامة، إلا أنها

كانت محل تقدير واحترام بالغين في الأوساط العلمية والأدبية آنذاك. والسبب الرئيس لذلك يعود إلى نشر جميع كتابات الإمام حميد الدين الفراهي باللغة الأردية، كما كان ينشر في صفحاتها الترجمة الأردية لتفسيره الشهير "نظام القرآن" بقلم الشيخ الإصلاحي. إلى جانب ذلك، كانت المجلة تضم مقالات شخصيات علمية معاصرة، وقد كان لرئيس التحرير حق الاختلاف مع آرائهم العلمية، إلا أنه كان يدرج كل ما يستوفي معايير الجودة العلمية من المحتوى. ومن الأمثلة على ذلك، نشر مقالات كل من غلام أحمد برويز وأسلم جيراجبوري. كما أدرجت بعض كتابات المستشرقين، شريطة أن تحمل قيمة علمية حقيقية. كان المبدأ الإرشادي للمجلة هو أن كل نص يُعدّ قابلاً للنشر إذا كان قد كُتب بعيدًا عن التقليد الذهني، ومؤسسًا على القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقدّم نقطة علمية جديرة بالاعتبار.

نظرًا للسياسة المستقلة التي اتبعتها المجلة، كانت تصل إليها أحيانًا كتابات لا ترتقي بأي وجه من الوجوه إلى المعايير العلمية المطلوبة. وبالمثل، كانت تقدّم للمراجعة والنقد بعض الكتب التي لا تستند إلى أي أساس علمي رصين. وكان الشيخ الإصلاحي ينتقد بشدّة هذه المحاولات الزائفة التي تقدّم تحت شعار "حرية الفكر" مؤكّدًا على أن مجرد التظاهر بالبحث العلمي لا يرقى إلى قيمته الحقيقية. وإذ نوضح ذلك، نورد هنا على سبيل المثال تعليق الشيخ الإصلاحي على تفسير ما، ليبيّن منهجه النقدي الدقيق والرصين.

كتب خواجة أحمد الدين أمرتسري تفسيرًا عربيًا في أربعة مجلدات أطلق عليه عنوان "بيانٌ للنّاس". وكان هذا العالم آنذاك أستاذًا للمؤلّف المعروف أسلم جيراجبوري والشاعر الصوفي المشهور غلام مصطفى تبسّم. وكان منهجه في الفقه والفكر الإسلامي يقوم على اعتبار القرآن وحده مصدرًا للدين، نافياً عن السنة والحديث صفة المصدر الشرعي. وقد علّق الشيخ الإصلاحي، بصفته رئيس تحرير مجلة "الإصلاح"، على هذا التفسير بتعليق نقدي، جاء فيه:

> "أما بالنسبة لتفسير خواجة أحمد الدين أمرتسري "بيانٌ للنّاس"، فتأتي في ذهننا دائمًا حكاية رويها أحد العلماء، ونود اليوم، رغم عدم رغبتنا، أن نرويها لأصدقائنا الكرام:

"كان أحد العلماء يتناول طعامه في دكان طباخ سيء الطبع، حيث كان الطباخ كثير الأخطاء وغير مهتم بالنظافة. وكان كل يوم يجد في طبق الطعام بضع ذبابات ميتة، فيغضب ويرفض الطبق. وهكذا كانت القصة تتكرر يوميًا. وفي يوم من الأيام، شاهد أن الطبق كله مليء بالذباب الميت. لكنه صبر وابتسم ولم يعترض. فسأله الطباخ بدهشة:

"سيدي، عندما كان هناك ذبابتان أو ثلاث في الطبق، كنت تغضب وتعيد الطعام، واليوم والطبق كله مليء بالذباب، ولم تقل شيئًا، فما السبب؟"

فأجاب: "عندما كان هناك ذباب قليل، كنت أغضب على أمل أن تنتبه وتتحرى الدقة. أما اليوم، وقد أصبح الطبق كله ذبابًا، فما الذي يمكن توقعه منك؟ ومن ستشتكي؟"

أيها الأصدقاء الأعزاء، عرشي وشفيع، صدّقوا أن حالنا مع تفسير خواجة أمرتسري كانت مشابهة تمامًا. القليل من الأخطاء يمكن معالجته ونقده، فهذا ليس عيبًا ولا إثمًا، لكن إذا اعتبرت الأخطاء نفسها مقياس العمل، فما الذي يمكن فعله؟

لذلك، فإن تفسير خواجة أمرتسري ليس ذا قيمة علمية حقيقية. إنه أشبه بـ"قورمة الذباب" التي وصلت إلى أيدي القرّاء، فجلسوا حائرين مذهولين، يدعون الله أن يغفر للخواجة أمرتسري، وأن يوفقكم لتتركوا هواية التفسير وتختاروا عملًا آخر." (مجلة "الإصلاح"، فبراير ١٩٣٨م)

(يتبع ...)

الشيخ محمد نعمان الدين الندوي*

المثقف العربي الأكبر: الجاحظ

«الجاحظ» اسمٌ أعرف من أن يُعَرَّف، و أشهر من نار على علم . . وهو ذو جولة وصولة في مختلف العلوم والفنون .. وفي الأدب العربي بصفة خاصة .

فمن هنا . . يوصف بـصفات وألقاب يستحقها مثل: " المثقف العربي الأكبر"، و: "زعيم البيان العربي"، و: "إمام الأدباء"، و: "قدوة المنشئين"، و: "شيخ الأدب" و: "لسان العرب" وما إلى ذلك من النعوت والصفات، التي نُعت بها عن جدارة واستحقاق.

أديب فذ يكتب عن تمكن من العبارة النابضة المتدفقة بالحيوية والحركية، وقدرة على التصوير البارع الذي يجسد الصور والنماذج من واقع الحياة الاجتماعية - بأبرز ملامحها وظلالها وألوانها - في بساطة وروعة وجمال، ودقة في الإدراك، وقوة في الملاحظة وخصوبة في الخيال، ونضج في الرأي والاستنتاج، وابتكار في المعاني والأفكار.

وليس من الإسراف والمبالغة أن نعد صاحبنا من الأكاديميين، فلا شك أن شخصيته الموسوعية كدائرة معارف أو كمكتبة متنقلة ، ورمزٌ من رموز الأدب الأكثر لمعانًا في جميع العصور والبلدان.

كما أن الجاحظ ليس مجرد كاتب، بل إنه كاتب قد ابتكر أسلوبًا بديعًا، فكان ابن بجدته، منه بدأ وبه وإليه خُتم وانتهى، ولم يزل يتطلع إليه - لندرته وخصبه وروعته - طلاب الأدب ويرغبون في تقليده، في عصره، وما تلاه من العصور، فقد تميز - أسلوب الجاحظ - بخصائص ومميزات جعلته يتربع على عرش من

---

* أستاذ بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، الهند.

الإبداع والإعجاب والشهرة والقبول، ما وصل إليه غيره من أمته أو غير أمته إلا نادرًا جدًّا، حتى قال أحد كبار الكتاب المعاصرين: " لا يوجد أحد يتفوق عليه بأسلوبه الإنشائي، وقدرته على السرد والتصوير، يمتلكها عالية جدًّا، حيث كان يستخدم الحكايات والأمثال بشكل فني ومبتكر، مما جعل كتاباته غنية بالتفاصيل و الأفكار المعبرة" ، ومن ثَم تبوأ - بحق وجدارة - مكانة مرموقة محسودة في : «محراب البيان العربي»، أو قل: اعتلى منصب : "الأستاذية الحقيقية" في اللغة العربية.

لقد بلغ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير، وامتلاكه لناصية اللغة، ما جعله من كبار أئمة الأدب والبيان، وأساطين التعبير والفصاحة من عصره إلى عصرنا هذا.

يكفي تقديرًا لمعرفة مكانة الجاحظ في الأدب العربي ما قاله أبو الفضل ابن العميد: " ثلاثة علوم . . الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس، أما الفقه فعلى أبي حنيفة، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة، فعلى أبي عثمان الجاحظ (معجم الأدباء ١٦/ ١٠٢).

نقل الحموي عن كتاب أبي حيان التوحيدي (في تقريظ الجاحظ) قول الحراني، أنه كان يقول:

ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاث.

فقيل له أحص لنا هؤلاء الثلاثة.

فقال:

أولهم: عمر بن الخطاب.

الثاني: الحسن بن الحسن البصري.

الثالث: أبو عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، وقدوة المتقدمين والمتأخرين . . إن تكلم حكى سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال، وإن جد خرج في مسك عامر بن قيس، وإن هزل زاد على مزيد. (انتهى قول الحراني)

نهم الجاحظ العلمي: ولد الجاحظ عاشقًا للقراءة، فكان دودة للعلم، ولحبه القراءة كان يكتري دكاكين الوراقين، يبيت فيها بين الكتب يطالعها ويشبع نهمه

العلمي، ذكر ياقوت الحموي قولًا لأبي هفّان - وكان من معاصري الجاحظ - : "لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا واستوفى قراءته كائنًا ما كان، ولا عجب في أن يفرد الصفحات الطوال مرات عدة في كتبه للحديث عن فوائد الكتب وفضائلها ومحاسنها، والحق أنه أشبه بآلة مصورة، فليس هناك شيء يقرأه إلا ويرتسم في ذهنه، ويظل في ذاكرته آمادًا متطاولة.

ولكن الجاحظ لم يقصر مصادر فكره ومعارفه على الكتب، و خاصة أن ذلك عادة مذمومة فيما أخبرنا هو ذاته، وأخبرنا كثيرون غيره، إذ العلم الحق لا يؤخذ إلا عن معلم، فتتلمذ على أيدي كثير من المعلمين العلماء، واغتني فكره من اتصاله بهم، وهو إن لم يتفق مع بعضهم أو لم يرض عن فكرهم، فإنه أقر بفضل الجميع، ونقل عنهم وذكرهم مرارًا في طيّات كتبه ".

لقد تكونت لدى الجاحظ ثقافة هائلة ومعارف طائلة عن طريق التحاقه بحلقات العلم المسجدية، التي كانت تجتمع لمناقشة عدد كبير وواسع من الأسئلة، وبمتابعة محاضرات أكثر الرجال علمًا في تلك الأيام، في فقه اللغة وفقه النحو والشعر، وسرعان ما حصّل الأستاذية الحقيقية في اللغة العربية بوصفها ثقافة تقليدية.

ونظرًا لسعة علمه وكثرة معارفه وصفه ابن يزداد بقوله: " هو نسيج وحده في جميع العلوم: علم الكلام، والأخبار، والفتيا، والعربية، وتأويل القرآن، وأيام العرب ".

مؤلفاته: يعد الجاحظ من المؤلفين المكثرين، حتى قال عنه المسعودي: "لا يُعلم أحد من الرواة و أهل العلم أكثر كتبًا منه، وقد كان أبو الحسن المدائني كثير الكتب إلا أن أبا الحسن المدائني يروي ما سمع"، فقلما كتب عالم أو أديب مقدار ما كتبه الجاحظ، فهو لم يدع بابًا إلا ولجه، ولا بحثًا إلا جال فيه، ولقد كان له من الثقافة الموسوعية ما جعله يكتب في كل فرع من فروع العلم والأدب والسياسة والدين والفلسفة واللاهوت المعروفة في زمانه، حتى زعم ابن الجوزي أن كتبه بلغت ٣٦٠ كتابًا.

وتتميز كتبه بغزارة المادة وتنوع المعلومات وروعة الأسلوب وجمال العرض

وشمول البحث واستيعاب لجوانب الموضوع وابتكار في الإنشاء، مما جعل أبا محمد عبدالله بن حمود الزبيدي الأندلسي - من علماء النحو واللغة والمبرزين في الشعر - يقول عن كتب الجاحظ : " رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوضًا عن نعيمها ". (الصداقة والصديق: ٨٨).

الميزة الكبرى للجاحظ: لعل الميزة الرئيسية التي تفرد بها الجاحظ هي اتخاذه المجتمعَ مادة لقلمه، وقد شق بذلك تيارًا جديدًا اتبعه الكتاب من بعده، كان أولهم أبو حيان التوحيدي.

فالجاحظ لم يوجه كل نتاجه الضخم نحو الدراسة الاجتماعية، شأن ابن خلدون أو غيره من المحدثين، بل تناول بيئة عصره بالنقد والوصف والتحليل في أكثر ما كتب، فما عدا المؤلفات التي تناولت النقد الصرف أو الدراسة كـ: «البخلاء» و «ذم الكتّاب» و «رسالة القيان» و «رسالة المعلمين» وما إليها، قلما خلا له أثر من علاقة وثيقة بمجتمعه في كل وجه وكل مضمار.[1]

المرح والجاحظ: لم يكن الجاحظ ثقيل الظل، بل كان خفيف الروح فكهًا لطيفًا ذا مرح ومزاح، يمتع القاريء بكلامه المؤنس المفرح، وإن كان فيه ما ينال من شخصيته ويجرح شعوره، يقول: ما أخجلني أحد إلا امرأتان، رأيت إحداهما في العسكر، وكانت طويلة القامة، وكنت على طعام، فأردت أن أمازحها: فقلت لها انزلي كلي معنا.

فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا !!

وأما الأخرى فإنها أتتني و أنا على باب داري، فقالت: لي إليك حاجة و أريد أن تمشي معي، فقمت معها إلى أن أتت بي إلى صائغ يهودي وقالت له: مثل هذا؟! وانصرفت، فسألت الصائغ عن قولها فقال: إنها أتت إلي بفصّ وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان ! فقلت لها : «يا ستي ما رأيت الشيطان»؟! فأتت بك وقالت ما سمعت ؟!

لئن دلت هذه النادرة على شيء فإنما تدل على ميل فطري إلى التهكم والسخرية، فالجاحظ أحب التهكم للتهكم حتى ولو على نفسه، كان المرح من صميم طبيعته، والنكتة على أسلة نفسه.[2]

الجاحظ شاعرًا: صحيح أن الجاحظ نظم كثيرًا، ولكنه لم يُخلق شاعرًا، لقد

جدّ في طلب علم الشعر، ولكنه لم يصل منه إلى ما كان يصبو إليه من المكانة منه، يقول: "طلبت علم الشعر عند الأصمعي، فوجدت لا يعرفه إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش، فوجدت لا يحسن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل إلا فيما يتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام، ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات، ومن شعر الجاحظ:

يطيب العيش إن تلقى حليمًا
غذاه العلم والرأي المصيب
ليكشف عنك حيرة كل ريب
وفضل العلم يعرفه الأريب
سقام الحرص ليس له شفاء
وداء الجهل ليس له طبيب

وأنشد المبرد للجاحظ:

إن حال لون الرأس عن لونه
ففي خضاب الرأس مستمتع
هب من له شيب له حيلة
فما الذي يحتاله الأصلع

ومن شعره أيضًا:

لئن قدمت قبلي رجالي فطالما
مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه
فتبرم منقوضًا وتنقض مبرما

معلومات أخرى مهمة عن الجاحظ:

- اسمه الكامل: عمرو بن بحر محبوب الكناني الليثي البصري، ولقبه: "الجاحظ" و: "الحدقي" لبروز عينيه، وكنيته: "أبو عثمان".

- ولد بالبصرة: ١٥٩هـ ٧٧٥م، وتوفي٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م

- وفي رسالة الجاحظ التي اشتهرت عنه، مدح فيها نفسه حيث قال: "أنا رجل من بني كنانة، وللخلافة قرابة، ولي فيها شفعة، وهم فيها بعد جنس".

- هيئته: كان قصير القامة، صغير الرأس، دميم الوجه، صغير الأذنين، جاحظ العينين، دقيق العنق، قوي البنية، ونشيط الجسم، مشوه الخلقة.

- المرض والوفاة: اشتد المرض بالجاحظ، فأصيب بـ : " الفالج "، وقال المبرد يصف حاله: "دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو جز بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس، لو طار الذباب بقربه آلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها، وعلى الرغم من شدة المرض، إلا أن المرض لم يكن هو السبب في وفاته، ولكن كان علمه هو السبب، حيث يقال إنه توفي بعد سقوط قسم من مكتبته فوق رأسه، يعني سقطت عليه مجلدات من كتب، وتوفي وعمره نحو ٩٦ سنة.

أشهر كتب الجاحظ: البيان والتبيين، كتاب الحيوان، البخلاء، المحاسن والأضداد.

أشهر أساتذته:

أبو عبيدة معمر بن المثنى، الأصمعي، أبو عمرو الشيباني، أبو الحسن الأخفش، أبو يوسف القاضي، ثمامة بن الأشرس، أبو الهذيل العلاف، النظام .

من أشهر تلامذته:

المبرد النحوي، ابن أبي داود السجستاني، ميمون بن هارون.

من أشهر مقولات الجاحظ:

يجب للرجل أن يكون سخيًّا لا يبلغ التبذير، شجاعًا لا يبلغ الهَوَج، ماضيًا لا يبلغ القحة، قوّالًا لا يبلغ الهَذَر، صموتًا لا يبلغ العيّ، حليمًا لا يبلغ الذل، منتصرًا لا يبلغ الظلم، وقورًا لا يبلغ البلادة ناقدًا لا يبلغ الطيش .

كلمته البليغة عن الكتاب:

«الكِتاب وعاء مُلِىء علمًا، وظَرف حُشي طُرفًا، وإناء شُحن مزاحًا وجِدًّا، إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيى من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألْهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه، ومن لك بواعظ مُلْهٍ، وبزاجر مغرٍ، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس.

ومتى رأيت بستانًا يُحمل في رَدَن، وروضة تقلب في حجر، وناطقًا ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء؟ ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة.

ولا أعلم جارًا أبرَّ، ولا خليطًا أنصف، ولا رفيقًا أطوع، ولا معلِّمًا أخضع، ولا صاحبًا أظهر كفاية ولا أقل إملالًا وإبرامًا ولا أكثر أعجوبة وتصرُّفًا ولا أقل تصلُّفًا وتكلُّفًا ولا أبعد من مراء من كتاب.

ولا أعلم نتاجًا في حداثة سنه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة، ومن الأخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة؛ ما يجمع لك الكِتاب.

صامت ما أسكتَّه، وبليغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له والتذمم منه.

والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوَّد بيانك، وفخَّم ألفاظك، ونجّح نفسك، وعمَّر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغرم، ومن كد الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقًا وأكرم عِرقًا، ومع السلامة من مجالسة البُغَضاء ومقارنة الأغبياء».

و قال: «إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم — وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة — تناولتُ كتابًا من كتب الحكمة، فأجد اهتزازي للفوائد، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة؛ أشد إيقاظًا من هدة الهدم.

وإذا استحسنت الكتاب واستجدته، ورجوت منه الفائدة، ورأيت ذلك فيه، فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قلبه. وإن كان المصحف عظيم الحجم، كثير الورق، كثير العدد، فقد تم

عيشي وكمل سروري».

ويستطرد متحدثًا عن أهمية الكتاب:

«فالإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه، ولا بدَّ من أن تكون كتبه أكثر من سماعه، ولا يعلم ولا يجمع العلم حتى يكون الإنفاق عليه من ماله ألذ عنده من الإنفاق من مال عدوه، ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألذ عنده من عشق القيان لم يبلغ في العلم مبلغًا رضيًا، وليس ينتفع بإنفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الأعرابي في فرسه».

الهوامش:

(١) جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره، ص: ٥، دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، بيروت، لبنان.

(٢) أيضًا: ١٨

المراجع الأخرى:

كما استفدت في إعداد هذا البحث من الكتب الآتية:

١- الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد: جميل جبر.

٢- الجاحظ بين مؤلفاته: سلمان عابد الندوي.

(كما استفدت من الأبحاث الإليكترونية).

(الثلاثاء : ٢ من رجب ١٤٤٧هـ = ٢٣ من ديسمبر - كانون الأول - ٢٠٢٥م)

فن المقامات

الدكتور محمد دياب غزاوي

مَقَامُ الْحُبِّ

الْحُبُّ شَجَرَةٌ وَارِفَةٌ فِي صَحْرَاءِ الْحَيَاةِ الْقَاحِلَةِ، نَتَفَيَّأُ ظِلَالَهَا، وَنَهْفُوْ إِلَى ثَمَارِهَا، وَنَمِيْلُ إِلَى أُكُلِهَا، وَنَسْتَعْذِبُ طَعْمَهَا، وَنَشْرَبُ مِنْ دَنِّهَا، وَنَسْكَرُ مِنْ خَمْرِهَا، فَتُنْقِذَنَا مِنْ جَدْبٍ مُطْبِقٍ، وَصَدًى مُحَقِّقٍ، وَهَلَاكٍ مُؤَكَّدٍ، وَفَنَاءٍ مُتَجَدِّدٍ، وَلِمَ لَا؟ وَهِيَ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ، زَيْتُوْنَةٌ، لَا شَرْقِيَّةٌ، وَلَا غَرْبِيَّةٌ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ الْعُشَّاقِ وَالْمُتَيَّمِيْنِ، وَالْمُحِبِّيْنَ الْوَلِهِيْنَ.

الْحُبُّ طَائِرٌ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ عَلَى النَّاسِ، يَلْمَسُهُمْ بِحَنَانٍ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِمْ بِتَحْنَانٍ، وَيُصْغِي إِلَى أَلْحَانِهِمْ، وَيُنْصِتُ إِلَى أَشْجَانِهِمْ، وَيَهْوَى آمَالَهُمْ، وَيَشْقَى لِآلَامِهِمْ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى شَكْوَاهُمْ وَأَنَّاتِهِمْ، وَيَبْكِي لِنَجْوَاهُمْ وَآهَاتِهِمْ، وَيَفْرَحُ لِمُبْتَغَاهُمْ وَمَآرِبِهِمْ، وَيَرْقُصُ عَلَى شَدْوِهِمْ وَمَطَالِبِهِمْ، وَيَتَمَايَلُ عَلَى تَمْتَمَاتِهِمْ، وَيَتَبَخْتَرُ عَلَى هَمْهَمَاتِهِمْ، وَيَتَرَاءَى لِأَطْيَافِهِمْ، وَيَرْبِتُ عَلَى أَعْطَافِهِمْ، وَيَحْنُو عَلَى دَنَفِهِمْ، وَيَعِيْشُ مَعَ كَلَفِهِمْ، وَيَحْزَنُ عَلَى هَجْرِهِمْ، وَيَبْتَهِجُ لِوَصْلِهِمْ، وَلَا يَتْرُكُ سَاحَتَهُمْ، وَيَدَعُ مَكَانَهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ قَلْبَيْنِ قَلْبَيْنِ، وَرُوْحَيْنِ رُوْحَيْنِ، حَتَّى لَا يَكُوْنَ بَيْنَ النَّاسِ وَاحِدٌ خِلْوًا مِنَ الْحُبِّ، عَارِيًا عَنِ الْعِشْقِ، فَالْكُلُّ إِمَّا مُحِبٌّ أَوْ مَحْبُوْبٌ، عَاشِقٌ أَوْ مَعْشُوْقٌ، قَدْ تَمَاهَى فِي مَلَكُوْتِ الْجَوَى، وَسَاحَ عَبْرَ دُرُوْبِ الْهَوَى؛ فَالْأَرْوَاحُ جُنُوْدٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ.

وَالْحُبُّ حَرْفَانِ كَثِيْرًا مَّا يَخْتَلِفَانِ، وَقَلِيْلًا مَّا يَتَّفِقَانِ، وَنَادِرًا مَّا يَمْتَزِجَانِ، فِيْهِمَا مِنَ التَّنَوُّعِ وَالتَّضَادِ، وَالْابْتِعَادِ وَالتَّنَادِ؛ إِذْ يَخْتَلِفَانِ مَخْرَجًا وَصِفَاتٍ، شِدَّةً وَثَبَاتٍ؛ وَبُعْدًا وَقُرْبًا، وَوَصْلًا وَصَدًّا، يَجُوْبَانِ الْمَخَارِجَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، مِنَ شاطئ الْحَاءِ تَبْدَأُ الرِّحْلَةُ الْمُقَدَّسَةُ إِلَى مِرْفَأِ الْبَاءِ، وَكَأَنَّ الْمُحِبُّ لَابُدَّ أَنْ يَقْطَعَ مَسَافَاتٍ طَوِيْلَةً حَتَّى يَصِلَ إِلَى بُغْيَتِهِ، وَيَحْظَى بِطِلْبَتِهِ، فَيَلْتَصِقَ بِمَحْبُوْبِهِ، وَيَلْتَقِي بِمَعْشُوْقِهِ، وَهِيَ تِلْكُمُ الْمَسَافَةُ ذَاتُهَا الَّتِي يَقْطَعُهَا حَرْفُ الْحَاءِ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِصِنْوِهِ الْبَاءِ عِنْدِ الشَّفَتَيْنِ إِلَى أَنْ يُكَوِّنَا مَعًا أَرْقَى كَلِمَةٍ فِي الْوُجُوْدِ، وَأَسْمَى لَفْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ، وَأَنْبَلَ تَمْتَمَةٍ فِي الْكَوْنِ، إِنَّها الْــ (حُبُّ).

كَمَا أَنَّ الْحَرْفَيْنِ يَجْمَعَانِ بَيْنَ الْاحْتِكَاكِ وَالرَّخَاوَةِ، وَالْحَرَكَةِ وَالْكُمُوْنِ، وَالشِّدَّةِ وَالسُّكُوْنِ، وَالْجَهْرِ وَالتَّضْعِيْفِ، وَالْهَمْسِ وَالتَّخْفِيْفِ، وَمِنْ ثَمَّ تَرَى فِي الْحُبِّ هَمْسَ الْعِشْقِ وَشِدَّتَهُ، وَرَخَاوَةَ الْمَحْبُوْبِ وَقَسْوَتَهُ، وَهُدُوْءَ الْوَصْلِ وَعَاصِفَتَهُ.

وَرُبَّمَا مِنْ أَجْلِ هَذَا نَجِدُ الْحُبَّ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ، وَيَحْوِي كُلَّ الْمُتَقَابِلَاتِ، وَيُسَوِّي بَيْنَ اللَّامُتَنَاظِرَاتِ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمُتَنَافِرَاتِ، حَيْثُ الرُّؤْيَا وَالْمِثَالُ، وَالْوَاقِعُ وَالْخَيَالُ، وَالنَّقْصُ وَالْاكْتِمَالُ، وَالرَّفْضُ وَالْمَنَالُ، وَالْهَجْرُ وَالْوِصَالُ، فِيْهِ مِنَ الثَّرَى وَالثُّرَيَّا، وَالْأَرْضِ وَالْعُلَيَّا، وَالْقُوَّةِ وَالْاسْتِسْلَامِ، وَالْاقْتِرَابِ وَالْخِصَامِ، وَالْحَيَاةِ وَالْحِمَامِ، فِيْهِ مِنْ خُصُوْبَةِ الْبَسَاتِيْنِ، وَمِنْ قَحْطِ السِّنِيْنِ، فِيْهِ مِنْ فَرْحَةِ الْوِفَاقِ وَالْاشْتِيَاقِ، وَمِنْ لَوْعَةِ التَّنَائِي وَالْفِرَاقِ، فِيْهِ مِنْ رَشْفِ الرُّضَابِ، وَسُؤْرِ الْعَذَابِ، فِيْهِ مِنَ التَّدَانِي وَالْبِعَادِ، وَالْقُرْبِ وَالتَّنَادِ، فِيْهِ السُّهْدُ وَالسَّهَرُ، وَالْأَرَقُ وَالسَّحَرُ، فِيْهِ الْهَنَاءُ وَالشَّقَاءُ، وَالْعُذُوْبَةُ وَاللَّأْوَاءُ، فِيْهِ مِنْ دَمْعِ الْأَنِيْنِ، وَعَبْرَاتِ الْحَنِيْنِ، فِيْهَ الصَّمْتُ وَالْكَلَامُ، وَالسُّكُوْتُ وَالْغَرَامُ، وَالْخِصَامُ وَالتُّهْيَامُ.

الْحُبُّ مَاهِيَّةُ الْإِنْسَانِ، وَأَسَاسُ خَلْقِ الْأَكْوَانِ، وَكَيْنُوْنَةُ الْحَيَاةِ، وَجِذْرُ النَّجَاةِ؛ فَوُجُوْدُنَا مُرْتَبِطٌ بِهِ، وَحَيَاتُنَا مَرْهُوْنَةٌ لَهُ، فَلَوْلَاهُ مَا أَنِسَ

إِنْسَانٌ، وَلَا عُمِّرَ مَكَانٌ، وَلَا أُعِيْنَ عَلَى زَمَانٍ.

وَبِالْحُبِّ تُغْتَفَرُ الذُّنُوْبِ، وَتَعْمَى الْأَبْصَارُ عَنِ الْعُيُوْبِ، وَتُصَمُّ الْآذَانُ عَنِ الْمَثَالِبِ وَالْكُرُوْبِ، وَفِي الْحُبِّ تُقْبَلُ التَّوْبَةُ، وَتُرْتَجَى الْأَوْبَةُ، وَتُقَالُ الْعَثْرَةُ، وَتُمْحَى الْأَثَرَةُ، فَالْجُفُوْنُ كَلِيْلَةٌ إِلَّا عَنِ الْجَمَالِ، مِلْؤُهَا الْحَبِيْبُ وَالدَّلَالُ، حَسَنٌ فِيْهَا مَنْ تَوَدُّ، جَمِيْلٌ فِيْهَا مَنْ تَعْشَقُ، رَائِعٌ دَائِمًا مَا تُشْغَفُ بِهِ، فِيْهِ الصَّفْحُ الْجَمِيْلُ، وَالْخَيْرُ الْجَزِيْلُ، وَالْأَصْلُ النَّبِيْلُ، وَالنَّوَالُ الْوَفِيْرُ، وَالزَّهْرُ النَّضِيْرُ.

فِيْهِ التَّمَاهِي وَالتَّبَاهِي، فِيْهِ الْمُنَاغَاةُ وَالْمُنَاجَاةُ، وَالْإِعْذَارُ وَالْمُدَارَاةُ، فِيْهِ الْمُنَى وَالسُّهَى، وَالْمُبْتَدَا وَالْمُنْتَهَى، وَالْمُرْتَجَى وَالْمُشْتَهَى، فِيْهِ الشَّهْدُ وَالرُّضَابُ، وَالتَّغَافُلُ وَالْعِتَابُ، فيه الرِّيُّ وَالصَّهْبَاءُ، وَالْقُرْبُ وَالْإِدْنَاءُ، فِيْهِ الْإِشَارَةُ وَالتَّلْمِيْحُ، وَالْغَمْزُ وَالتَّصْرِيْحُ، فِيْهِ التَّمَامُ وَالْمُقَامُ، وَالْمُدَامُ وَالْغَرَامُ، فِيْهِ الْأَنَا وَالْمُنَى، وَالسَّنَا وَالدُّنَى، فِيْه الْمِثَالُ وَالدَّلَالُ، وَالرِّضَا وَالْوِصَالُ، فِيْهِ جَنَّةُ الْوَاقِعُ وَعَبْقَرِيَّةُ الْخَيَالِ، بَلْ فِيْهِ الْحَيَاةُ، وَمِنْهُ وَحْدَهُ فَقَطَ تَكُوْنُ النَّجَاةُ.

الشعر والقريض

الشاعر: الأستاذ عمر محمود ضوبع

الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية

(فَصْلٌ في صِفَاتِهِ الخَلْقِيَّةِ ﷺ)

(وَجْهُهُ وَشَعْرُهُ ﷺ):

مُحَمَّدٌ مَنْ مِثْلُهُ بَينَ الوَرَى ... سُبحَانَ مَنْ كَمَّلَهُ وَصَوَّرَا

فَوَجْهُهُ بَدْرُ السَّمَا مُكَمَّلا ... أبيَضُ بِالسَّنَاءِ قَدْ تَجَلَّلا

مُشَرَّبٌ بِحُمْرَةٍ تَأَلَّقَا ... فَلَيْسَ آدَمًا وَلَيْسَ أمْهَقا

في وَجْهِهِ اسْتِدَارَةٌ وَسِيْمُ ... يُشْبِهُهُ في الخَلْقِ إبراهِيْمُ

جَبِيْنُهُ العَظِيمُ بَيِّنُ البَلَجْ ... وَحَاجِبَاهُ سَابِغَانِ في زَجَجْ

مُفْتَرِقَانِ مِثْلَ قَوْسٍ في الحَدَبْ ... بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغَضَبْ

وَأدْعَجُ العَينَينِ فِيهِمَا حَوَرْ ... وَأهْدَبُ الأشْفَارِ خَافِضُ البَصَرْ

مُنَوَّرٌ مُكَحَّلٌ بِالإثْمِدِ ... لم تُنْجِبِ الأيَّامُ مِثْلَ أحمَدِ

مُفَلَّجُ الأسنَانِ وَاسِعُ الفَمِ ... وَمُسْتَوِي الخَدَّيْنِ أسْنَى المَبْسَمِ

يُرَى الضِّيَاءُ مِنْهُ إنْ تَكَلَّمَا ... كَأنَّمَا اللُّؤْلُؤُ أنْجُمُ السَّمَا

عِرْنِينُهُ أقنَى دَقِيقُ الأرْنَبَهْ ... وَشَعْرُهُ إنْ طَالَ حَدَّ مَنْكِبَهْ

يَفْرُقُهُ وَلَيْسَ بِالجَعْدِ القَطَطْ ... لَهُ ضَفَائِرٌ وَلَيْسَ بِالسَّبَطْ

مُخَضَّبٌ بِالزَّعفَرَانِ وَالكَتَمْ ... مُرَجَّلٌ وَفِيهِ حُمْرَةُ العَنَمْ

مَا شَابَ مِنْهُ قَلَّ عَنْ عِشْرِينَا ... وَسِنُّهُ قَدْ جَاوَزَ السِّتِّينَا

(يتبع...)

الشاعر: العلّامة الدكتور محمد إقبال

نظمها بالعربية شعرًا: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢–١٩٨٢م)

الشكوى وجواب الشكوى

(حديث الروح)

(الحلقة الثامنة)

يا طِيبَ عَهْدٍ كنتَ فيه مَنارَنا ... فبعثْتَ نور الحقِّ مِنْ فَارانِ

وأسرْتَ فيه العاشقين بلَمْحَةٍ ... وسقيتهم راحاً بغيـــر دِنَـــانِ

أحرقْتَ فيه قلوبَهم بتوقُّدِ ... الإيمان لا بِتَلَهُّب النِّيرانِ

لم نبقَ نحنُ ولا القُلُوبُ كأنَّها ... لم تَحْظَ مِنْ نارِ الهوى بدُخَانِ

إن لمْ يُنَزْ وجهُ الحبيب بوصلِهِ ... فمكانُ حُزْنِ القلبِ كلُّ مكانِ

*****

يا فرحة الأيام حين نرى بها ... روض التجلّي وارف الأغصان

ويعود محفلُنا بحسنك مسفراً ... كالصُّبح في إشراقه الفينان

قد هاج حُزني أنْ أرى أعداءنا ... بين الظِّلا والظِّلِّ والألحان

ونعالجُ الأنفاس نحن ونصطلي ... في الفقرِ حينَ القومُ في بستان

أشْرقْ بنورِك وابعثِ البرق القديمَ ... بومضةٍ لِفَرَاشِكَ الظَّمْآنِ

(يتبع...)

الشاعر: الدكتور صلاح عدس

صرخة قادم من الأندلس

[جاء رسول من الأندلس يستنجد بجيوش المغرب فوجدهم صرعى على الأرض بجوار خصومهم جيش أبي زيد الهلالي سلامة بينما كانت تسقط الأندلس.]

أين أبو زيد سلامة ؟!!
أين بني زيرى ((زناتهْ))
أين العرب وأين البربرْ
قد جئت اليوم من الأندلس
من الفردوس المفقودْ
قد جئت بهم أستنجدْ
لكن لم أبصر أي أحدْ
فلقد مات الكلّْ
وهنا مقبرة الأمةْ
والآن .. لا أدري
هل جئت أعزّي امتنا
في قتلاها دون قضيةْ
أم أنعي بلواها الأبديةْ
فلقد سقطتْ .. المدن الأندلسيةْ
صارت إفرنجيةْ
فاطمة ستدعى ((فاتيمةْ))
وستدعى زينب ((ماريةْ))

والنورمان سيأتون
وسترسو السفن الإفرنجيةْ
عند شواطئ إفريقيةْ
وستسقط أرض العرب وأرض البربر .. الإسلاميةْ
فلنتذكر .. أن المدن الأندلسية
قد سقطت .. المدن الأندلسية .. الإسلاميةْ
فالحرب صليبيةْ
والحرب الآن .. حرب إبادةْ
فانتبهوا .. انتبهوا سادةْ
(ديوان "ثورة ((المختار))، صـ ٧٣)

الشاعر: محمد الشرقاوي

زائرُ الحب

أتى رمضانُ يدعو الشاهدينا ... لنورٍ من إلهِ العالمينا
وأشرقت البسيطةُ في شموخٍ ... وهبَّتْ تحتفي بالساجدينا
أطلَّ الصفحُ والغفرانُ شوقًا ... إلى ساحاتِ كُلِّ التائبينا
وقام الودُّ يغمرُ كُلَّ قلبٍ ... وفاض الخيرُ بين السائلينا
وعاد الصدقُ بين الناسِ عهدًا ... يسيرُ ويحتفي بالصادقينا
وجاء الحبُّ يطرقُ كُلَّ بابٍ ... ويجلسُ في رحابِ الصائمينا
وتلك الرحمةُ العليا تجلَّت ... لتجمعَ من شتاتِ الصالحينا
وبات العطفُ بالأيتامِ خلًّا ... يزاحمُ في صفوفِ الطائعينا
وجندُ اللهِ عونٌ في خُطانا ... لنصرِ الدينِ فوق المعتدينا
ولِلفِردَوسِ صوتٌ بات يعلو ... يصافحُ كُلَّ جمعِ القادمينا
رأيتُ تواصلَ الأرحامِ زادًا ... لِمَنْ يشتاقُ خيرَ المرسلينا
مِن الأرحامِ عاد الفوزُ سعيًا ... ويعلمُ ذاك نهجُ السابقينا
وقام الأمنُ يهدمُ كُلَّ خوفٍ ... ليحيا الناسُ دهرًا آمنينا
وصوتُ الذكرِ يشرحُ قلبَ عاصٍ ... ليهربَ مِن جموعِ التائهينا
وفيه العفو والإحسانُ طبعٌ ... أصيلٌ مِن طباعِ الخاشعينا
فكمْ تهتزُّ للحسنى نفوسٌ ... وتبحرُ في دروبِ المصلحينا
أتى رمضانُ ينقذُ كُلَّ عينٍ ... تبارت في فعالِ الخاطئينا
أتى رمضانُ والدنيا شرودٌ ... تسافرُ في بحورِ المفسدينا

وتسهرُ بين أبوابِ الملاهي وتلعبُ في نوادي اللاعبينا
وتضحكُ في عيونِ الإثمِ جهرًا وتعبسُ في وجوهِ المتقينا
لها في كُلِّ ناحيةٍ حماةٌ جيوشٌ مِنْ كبارِ الشاردينا
وإنْ سُئِلَت عن الأحكامِ يومًا لعادت نحو قهرِ الصابرينا
فمن أمسى عن الدنيا غنيًا فذاك يقودُ صفَّ الفائزينا
وكم نحكي هنا بدرًا وفتحًا من الرحمنِ يحمي المؤمنينا
وباتت ليلةُ القدرِ امتثالًا لأمرِ اللهِ يُنجي القائمينا
ودعوةُ صائمٍ ليلًا وصبحًا وعند الفطرِ تحمي الشاكرينا
ويختمُ زهرةَ الأيامِ عيدٌ يغرِّد في بلادِ المسلمينا
ففي فرضِ الصيامِ هُدًى ونورٌ وفي دربِ الحبيبِ نرى اليقينا

الأحداث

بقلم: شاهد محمود*

ترجمة إلى العربية: أ. عثمان فاروق

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد"(GCIL) أمريكا

(فبراير ٢٠٢٦م)

١- الدروس الأسبوعية في القرآن والحديث

واصل مركز غامدي خلال شهر يناير ٢٠٢٦م تنظيم الدروس المباشرة في القرآن الكريم والحديث النبوي، حيث قدّم الأستاذ غامدي شرحًا وافيًا لآيات ٤٤ إلى ١١٨ من سورة المؤمنون، إلى جانب تفسير الآيتين الأوليين من سورة النور.

وفي دروس الحديث، تناولت الجلسات الروايات الواردة في أحكام الطهارة، وجرى نقاش علمي مستفيض حول عدد من القضايا المهمة، من أبرزها:

وجوب الطهارة قبل مسّ المصحف، وبيان إشكالٍ متعلّق بماء الجنابة، ومسألة لزوم الغسل فور وقوع الجنابة، إضافة إلى بحث مسألة طهارة الإنسان أو نجاسته في حال الجنابة.

وتتوافر تسجيلات هذه الدروس في القرآن والحديث على قناة مركز غامدي على منصة يوتيوب.

٢- بودكاست الأديان العالمية (World Religions Podcast)

خلال الشهر الماضي، قدّم الأستاذ محمد حسن إلياس برنامجًا تحت عنوان

---

* مساعد تحرير مجلة "إشراق" المجلة الشهرية الصادرة باللغة الأردية عن مركز غامدي للتعلّم الإسلامي (GCIL) أمريكا.

"بودكاست الأديان العالمية". ويهدف هذا البرنامج بالأساس إلى إيجاد توافق فكري عبر الحوار بين الأديان العالمية المختلفة، مع التركيز على الإسلام والهندوسية.

وقد سعى البرنامج إلى تناول الدين ليس من منظور تقليدي فحسب، بل عبر فهمه على أسس عقلية ومنطقية. ومن أبرز النقاط التي ناقشها البرنامج:

١- ما هو الإسلام ومتى نشأ؟

٢- ما تعريف الإسلام وما حقيقته؟

٣- هل يختلف الإسلام عن باقي الأديان؟

٤- تحديات الإلحاد في العصر الحديث.

وتتوافر تسجيلات هذا البرنامج على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٣- برنامج "أفكار غامدي"

يُعدّ برنامج "أفكار غامدي" الأسبوعي على يوتيوب، الذي يقدمه الأستاذ منظور الحسن، وسيلة مهمة لنقل آراء غامدي بأسلوب مبسط وسهل الفهم للجمهور. في هذا البرنامج، يتم توضيح أفكار غامدي بلغة سلسة ومباشرة.

وخلال جلسات شهر يناير ٢٠٢٦م، تناول البرنامج عددًا من الموضوعات البارزة، من أهمها:

١- ما هي لغة العلم؟

٢- نصيحة الأستاذ غامدي: "كونوا طلابًا صادقين".

٣- هل يمكن للدولة التدخل في الشؤون الشخصية للأفراد؟

٤- هل من الصحيح وصف دعوة العالم بأنها دعوة دينية؟

ويمكن متابعة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٤- برنامج "استفسار: مع الدكتور عمار خان ناصر"

في إطار سلسلة "استفسار: مع الدكتور عمار خان ناصر"، وهي جلسات شهيرة للأسئلة والأجوبة تقدّم عبر منصة مركز غامدي، تم خلال جلسات شهر يناير ٢٠٢٦م مناقشة عدد من الأسئلة المهمة، من أبرزها:

١- ما هي حدود التقليد والتجدد؟

٢- لماذا توجد خلافات في التفاسير؟

٣- في حديث "غدير خم"، من المقصود بـ "أهل البيت"؟

٤- ماذا يعني عدم الانخراط في الطائفية؟

ويمكن متابعة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٥- برنامج "اسأل غامدي" (Ask Ghamidi)

يُعقد عبر مركز غامدي كل شهر جلسة مباشرة عبر الإنترنت تحت عنوان "اسأل غامدي"، بهدف تمكين الناس من الحصول على إرشادات دينية وأخلاقية مباشرة من الأستاذ غامدي حول مختلف الموضوعات. ويكمن الهدف الأساسي من هذه الجلسة في أن يتمكّن المشاركون من طرح أسئلتهم والحصول على إجابات واضحة مباشرة من غامدي صاحب.

وخلال جلسة يناير ٢٠٢٦م، طرحت عدة أسئلة مهمة، من أبرزها:

١- هل يستكمل الحج بأداء العمرة فقط؟

٢- ما هي آداب زيارة المقابر؟

٣- هل يمكن الوصول إلى السكينة الروحية دون التصوف؟

٤- لماذا لا يُعدّ إنكار النبوة إهانة؟

ويمكن الاطلاع على تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٦- سلطان تيبو ونظام حيدر آباد: شخصيتان، سلوكان، نتيجتان

يقارن الأستاذ محمد حسن إلياس في مقاله الحديث بين شخصيتي سلطان تيبو ونظام حيدر آباد لتسليط الضوء على نمطين تاريخيين مختلفين لدى المسلمين: المقاومة العاطفية والنهج الواقعي المدروس. ويشير الكاتب إلى أنه بينما أدت شجاعة سلطان تيبو إلى إضفاء رومانسية خالدة على الاستشهاد، استطاع نظام حيدر آباد، بوعيّه بالحقائق المتغيرة، أن يضمن بقاء الأمة من خلال بناء المؤسسات والمعرفة. ويخلص المقال إلى أن الكرامة والاستقرار الدائم للأمم لا يتحقق بالشعارات العاطفية فحسب، بل بالاستراتيجيات طويلة الأمد والتعليم، ووضع أسس مؤسسات قوية.

ويتاح قراءة هذا المقال في عدد يناير ٢٠٢٦م من مجلة "إشراق" الأمريكية.

٧- "معنى ربط طاعة الله بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم "

هذا المقال للأستاذ سيد منظور الحسن مستوحى من حديث الأستاذ جاويد

أحمد غامدي، حيث يوضح فيه كيفية ربط طاعة الله بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويؤكد المقال أن الوسيلة الوحيدة والموثوقة للبشر للحصول على الهداية الإلهية هي شخصية الأنبياء الكرام، إذ إن الوحي ومعرفة الغيب لا يتاح إلا لهم وحدهم. وعلى الأرض، فإن مصدر الدين الوحيد هو شخصية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قوله وفعلِه يمكن للناس أن يحصلوا على الهداية حتى يوم القيامة.

ويُتاح قراءة هذا المقال في عدد الشهر الماضي من مجلة "إشراق" الأمريكية.

٨- برنامج "أسئلة وأجوبة مع حسن إلياس"

خلال شهر يناير ٢٠٢٦م، عرضت قناة (Muslim Today) على يوتيوب برنامج الأستاذ محمد حسن إلياس الشهير "Ask Hassan Ilyas"، حيث جرى مناقشة عدد من الأسئلة المهمة، من أبرزها:

١- هل الانتحار جريمة أم جدير بالرحمة؟

٢- ما هو الطريقة الصحيحة للطلاق؟

٣- هل يمكن للفرد إعلان تطبيق الشريعة بنفسه؟

٤- هل إيماننا بالله قائم دون دليل؟

ويمكن متابعة تسجيلات هذا البرنامج على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٩- مجلة "صالحات" الفصلية

صدر العدد الجديد من مجلة "صالحات" الفصلية (تصدر هذه المجلة كل ثلاثة شهور)، الصادر عبر منصة مركز غامدي للتعلّم الإسلامي والمخصص للنساء، للربع الأول من يناير حتى مارس ٢٠٢٦م. تُعنى هذه المجلة بنشر مقالات جذابة وسهلة الفهم باللغة الأردية حول الموضوعات العلمية والأدبية والاجتماعية الموجهة للنساء.

ويشتمل العدد الجديد على عدد من المقالات البارزة، من أهمها:

١- مقال الأستاذ محمد حسن إلياس بعنوان "تأديب المرأة: المخاطب الزوج أم المجتمع؟"

٢- الرحلة الأدبية للسيدة نسرين خان بعنوان "دل دروازے"

٣- مقال السيدة ثوبيه نورين بعنوان "المشاجرات والخلافات"

٤- مقال السيدة فابيه إحسان بعنوان "المحظورات في الطلاق"

ويشرف على هذا العدد رئيس التحرير نعيم أحمد بلوش، فيما تشغل السيدة وجيهة حسان واحدي مساعدة التحرير.

١٠- سلسلة "تفهيم الآثار"

يواصل مركز غامدي تقديم برنامجه العلمي "تفهيم الآثار"، الذي يسلط الضوء على شرح الآثار المنسوبة إلى الصحابة والتابعين، مع سلسلة من الأسئلة والأجوبة المتعلقة بها. يستضيف البرنامج الدكتور سيد مطيع الرحمن، ويشارك فيه الأستاذ الدكتور محمد عمار خان ناصر كضيف.

وخلال جلسات شهر يناير ٢٠٢٦م، تم مناقشة عدد من الموضوعات المهمة، من أبرزها:

أ- سيدنا علي ورواية الحديث

ب- السيدة عائشة ورواية الحديث

ج- سيدنا أبو هريرة ورواية الحديث

د- هل يطبق كل آية من القرآن في وقت ما؟

ويمكن متابعة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

١١- صلاة التسبيح: دراسة فقهية وحديثية

قدم الدكتور عامر القَزدر في هذا البحث تحليلاً علميًا للروايات المتعلقة بصلاة التسبيح المنقولة عن السيدة أم سلمة، وسيدنا العباس، وفضل بن العباس رضي الله عنهم. وقد درس الباحث سلاسل الإسناد بدقة وعمق، وخلص إلى أن جميع هذه الطرق تحتوي على رواة ضعفاء، كذّابين، أو مجهولين، ما يجعل هذه الأحاديث لا تصل إلى مرتبة الدليل الشرعي، ومن الناحية العلمية تصنّف إما ضعيفة أو موضوعّة.

وبناءً على ذلك، يرى الباحث أنه لا يجوز الاستدلال بهذه الأحاديث لإثبات صلاة التسبيح، وفقًا لقواعد علم الحديث. يمكن الاطلاع على هذا المقال في عدد يناير ٢٠٢٦م من مجلة "إشراق" الأمريكية.

١٢- رسالة الشيخ أمين أحسن إصلاحي التعليمية وذكريات أبو صالح إصلاحي

ذكر الكاتب القدير نعيم أحمد بلوش في العدد الصادر عن "حياة أمين" لشهر

يناير نشاطات الشيخ إصلاحي العلمية وأبرز محطات حياة نجله أبو صالح إصلاحي، بما في ذلك وفاته المأساوية في حادث طائرة عام ١٩٦٥م. أوضح المقال أن الشيخ إصلاحي سعى لإعداد الطبقة المتعلمة حديثًا عبر منهج شامل يضم القرآن والحديث والأدب العربي الكلاسيكي، بهدف تجهيزهم فكريًا لمواجهة الإلحاد والتحديات الفكرية، ليكونوا أشبه بسيف ذي حدين في الدفاع عن الدين. كما سلط الضوء على مكانة أبو صالح إصلاحي العلمية والأخلاقية، وذكر المقال التعزيتي المؤثر لأغا شورش كاشمييري، الذي يعكس بوضوح كفاءته المهنية وسماته الشخصية النبيلة.

١٣- سلسلة محاضرات "الإيمان والعقائد"

تواصل سلسلة "محاضرات ميزان" التي يقدمها الأستاذ الدكتور شهزاد سليم تعريف الفئة الناطقة بالإنجليزية بالمباحث العلمية الواردة في كتاب "ميزان" للأستاذ جاويد أحمد غامدي. وفي شهر يناير ٢٠٢٦م، تم تسجيل محاضرتين تحت عنوان "الإيمان والعقائد"، وهما متاحتان على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

١٤- الخانقاه الإلكترونية لمركز غامدي

يقيم الأستاذ معز أمجد أسبوعيًا على منصة مركز غامدي جلسة تدريبية تحت اسم "الخانقاه الإلكترونية"، يهدف من خلالها إلى إصلاح النفس البشرية وتعزيز التربية الأخلاقية. تتضمن هذه الجلسات، إلى جانب الإرشاد النفسي والأخلاقي، الإجابة على أسئلة المشاركين بشكل شامل ومفيد.

في الجلسات التي عقدت خلال الشهر الماضي، تم مناقشة عدد من المواضيع المهمة، من بينها:

أ- ما معنى "إظهار" (Manifestation)؟

ب- قدرة الإنسان على التخيل

ج- تأثير البيئة على قدرات الإنسان

د- غياب وعي الذات

يمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

١٥- حلقة دراسة الإسلام (Islam Study Circle)

يقيم الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية تحت عنوان "حلقة دراسة الإسلام"، حيث يناقش فيها مواضيع دينية، أخلاقية واجتماعية من منظور القرآن الكريم والحديث الشريف.

يتكون هذا البرنامج من ثلاثة أجزاء:

١. في الجزء الأول، يتم اختيار موضوع من آيات القرآن الكريم وشرحه بشكل مفصل.

٢. في الجزء الثاني، تناقش الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع المختار.

٣. في الجزء الثالث، يستعرض اقتباس من الكتاب المقدس (Bible) لمقارنته أو مناقشته في سياق الموضوع.

وفي ختام الجلسة، يتم الرد على أسئلة المشاركين المتعلقة بالموضوع. يمكن مشاهدة تسجيل هذه الجلسة على قناة المؤسسة على يوتيوب.

١٦- برنامج "علم وحكمة: مع غامدي"

في شهر يناير ٢٠٢٦م، عرضت قناة "دنيا نيوز" (Dunya News) البرنامج الأسبوعي للأستاذ غامدي بعنوان "علم وحكمة: مع غامدي". تم في هذا الشهر بث ثلاثة برامج حول موضوع "مبادئ التفكير في الدين"، وبرنامج واحد حول موضوع "الإسلام والدولة".

وتطرقت هذه البرامج إلى عدد من الأسئلة المهمة، منها:

١- إلى أي مدى يمكن أن تساعد الأحاديث النبوية في التفكير النقدي في الدين؟

٢- هل اعتماد التقويم الغربي (التقويم الميلادي) يُعدّ شركًا؟

٣- هل الدولة حقيقة طبيعية أم اختراع حديث؟

٤- هل شكل الدولة الحالي يعكس الطبيعة البشرية؟

يمكن مشاهدة تسجيلات هذه البرامج على قناة المؤسسة على يوتيوب.

١٧- الجلسات الاستشارية الخاصة عبر الإنترنت مع الدكتور شهزاد سليم

يستمر سلسة الجلسات الاستشارية عبر الإنترنت التي يقدمها الدكتور شهزاد سليم لحل المشكلات الاجتماعية والأسرية. خلال الشهر الماضي، عُقد أكثر من ٣٠ جلسة تناولت صعوبات الآباء والمراهقين، إضافةً إلى القضايا النفسية والتربوية المتعلقة بالجيل الشاب.

تعتبر هذه الجلسات مصدرًا مهمًا للأشخاص الذين يسعون للحصول على نصائح صادقة في مسائلهم الخاصة، مع الالتزام بالحدود الشرعية والأخلاقية.

١٨- إصدار الفتاوى المبنية على الآراء الدينية

أصبح مركز غامدي للتعلم الإسلامي، المورد، أمريكا مرجعًا مهمًا لتوجيه المسلمين في جميع أنحاء العالم فيما يخص القضايا الشرعية والتطبيقات القانونية.

خلال الشهر الماضي، تم إصدار عدد من الفتاوى المتعلقة بالزواج والطلاق، والمواريث، بالإضافة إلى مسائل اقتصادية واجتماعية متنوعة. وقد جُمعت هذه الفتاوى على ضوء فكر الأستاذ جاويد أحمد غامدي بواسطة الأستاذ محمد حسن إلياس.

ومن المهم التوضيح أن الفتوى هي رأي ديني، وليست حكمًا قانونيًا أو قرارًا قضائيًا.

١٩- تدريس التفسير "البيان" باللغة الإنجليزية

يواصل الأستاذ الدكتور شهزاد سليم سلسلة تدريس تفسير الشيخ غامدي "البيان" باللغة الإنجليزية، حيث قدم خلال شهر يناير ٢٠٢٦م درسًا حول الآيات ٣١ إلى ٤٦ من سورة الأعراف. ويأتي هذا الجهد بهدف تمكين العلماء وطلبة العلم الناطقين بالإنجليزية من الاستفادة من فهم تفسير "البيان".

تسجيلات هذه الجلسات متاحة على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٢٠- اسأل الدكتور شهزاد سليم (Ask Dr. Shehzad Saleem)

يعقد الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية مباشرة للإجابة على أسئلة الناس حول مختلف المواضيع الدينية، الأخلاقية والاجتماعية. يمكن للمشاركين طرح أسئلتهم سواء باللغة الأردية أو الإنجليزية.

تسجيلات هذه الجلسات متاحة على قناة مركز غامدي على يوتيوب.